من كلام العارفين

العدد العاشر

جمادى الأولى 1444هـ الموافق لديسمبر 2022م

سلسلة

من كلام العارفين

العدد العاشر

جمادى الأولى 1444هـ

الموافق لديسمبر 2022م

مجموعة دروس للشيخ العارف بالله

الحاج الحبيب بن حامد القماري

لطف الله به في الدارين

آمين

نقلها إلى العربية الفصحى:

مجموعة من فقراء الطريقة التجانية

الطبعة الأولى. تونس 1444هـ

مقدمة

بإذن من سيدي الحاج الحبيب بن حامد رضي الله عنه قام بعض تلاميذه بكتابة هذا التأليف استنادا لما تم تسجيله وجمعه ونقله من العامية إلى الفصحى من دروسه التربوية وكلماته ورسائله العرفانية والله من وراء القصد.

بسم الله والحمد لله والصّلاة على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

قال صلّى الله عليه وسلّم: ((**لاَ بَأْسَ بِالحَدِيثِ قَدَّمْتَ فِيهِ أَوْ أَخَّرْتَ، إِذَا أَصَبْتَ مَعْنَاهُ**)) الجامع الصغير: الحديث 9706

من مقدمة كتاب جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني

وقال سيدي الحاج علي حرازم رضي الله عنه: "...وأرغب لمن طالع مكتوبنا هذا أن يغضّ عنه عين الانتقاد ويسمح لنا ما يلقاه من التّصحيف[1] والتّحريف[2] والزّيادة والتّطفيف[3] ويصلح ما وجد فيه من الخلل ويقابل جهلنا بالصّفح والإغضاء وحسن العمل فإنّا لسنا من أهل العلم ودرايته ولا من أهل النّحو وصناعته وإنّما حملنا على ذلك شدّة حبّنا في أهل هذا الجناب وتعلّقنا بهؤلاء الأحباب ومن أقام لنفسه عذرا سقط عنه اللّوم" ...

---

[1] التصحيف: تحريف كلمة بتحويل وضع حروفها أو تحويل أحدها إلى آخر يشبهه في الرَّسم ويخالفه في النَّقْط

[2] حرَّف الكلامَ: حرَفه، زوَّره، غيَّره وصرفه عن معانيه: يميلون به عن مواضعه التي وضعه الله فيها

[3] طَفَّفَ الْمِكْيَالَ: بَخَسَهُ، نَقَصَهُ.

نسخة من خط سيدي الحاج الأحسن البعقيلي رضي الله عنه

الإجازة الأولى التي بعث بها سيدي الحاج الأحسن البعقيلي إلى سيدي محمّد القماري رضي الله عن الجميع

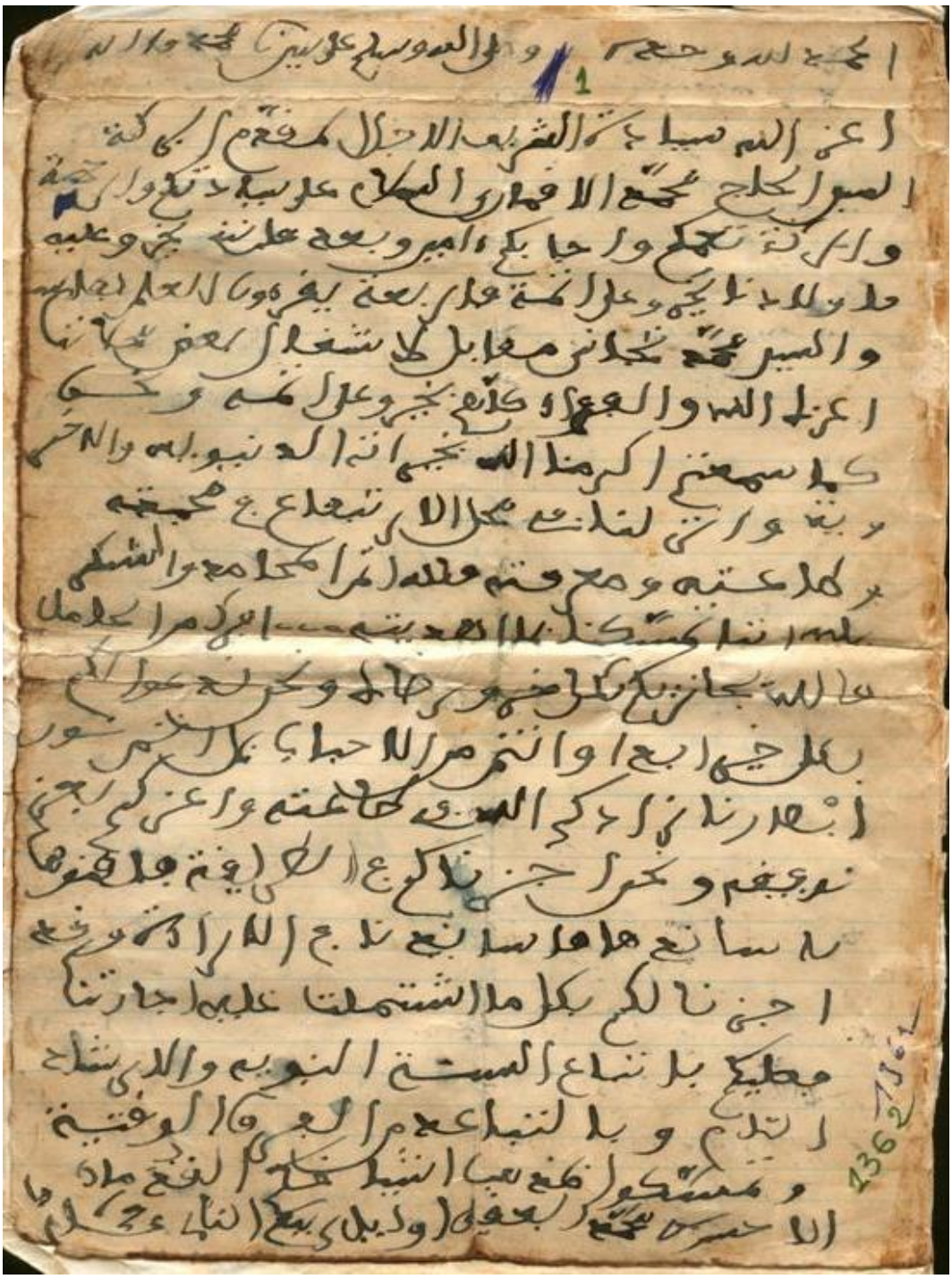

الإجازة رقم1

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله

أعز الله سيادة الشريف الأجل المقدم البركة السيد الحاج محمد الأقماري السلام على سيادتكم والرحمة والبركة تعمكم وأحبابكم آمين وبعد فأنني بخير وعليه فأولادنا بخير وعلى أتمة فأربعة يقرءون العلم بفاس والسيد محمد تجاني مقابل لأشغال بعض محلاتنا أعزه الله والفقراء كلهم بخير وعلى أتمه ونحن كما سمعتم أكرمنا الله بخيراته الدنيوية والأخروية وأنزلنا في محل الإرتفاع في محبته وطاعته ومعرفته فلله أتم المحامد والشكر يليه أننا تمسكنا بما أهديته 1000 فرنك من الحامل فالله يجازيكم بكل خير ورضاه ونحن ندعوا لكم بكل خير أبداً وأنتم من الأحباب بل أنتم نور أبْصارنا زادكم الله في طاعته وأعزكم بعزّ توفيقه ونحن أجزنا كم في الطريقة فلقنوها بأسانيدها فأسانيدنا في الإراءة وقد أجزنا لكم بكل ما اشتملت عليه إجازتنا فعليكم باتباع السنة النبوية والإرشاد التام وبالتباعد من الفرق الوقتية وتمسكوا بمذهب أشياخكم القُدمَاء

الأحسن بن محمد البعقيلي أوائل ربيع الثاني عام 1362

نسخة من خط سيدي الحاج محمّد القماري رضي الله عنه

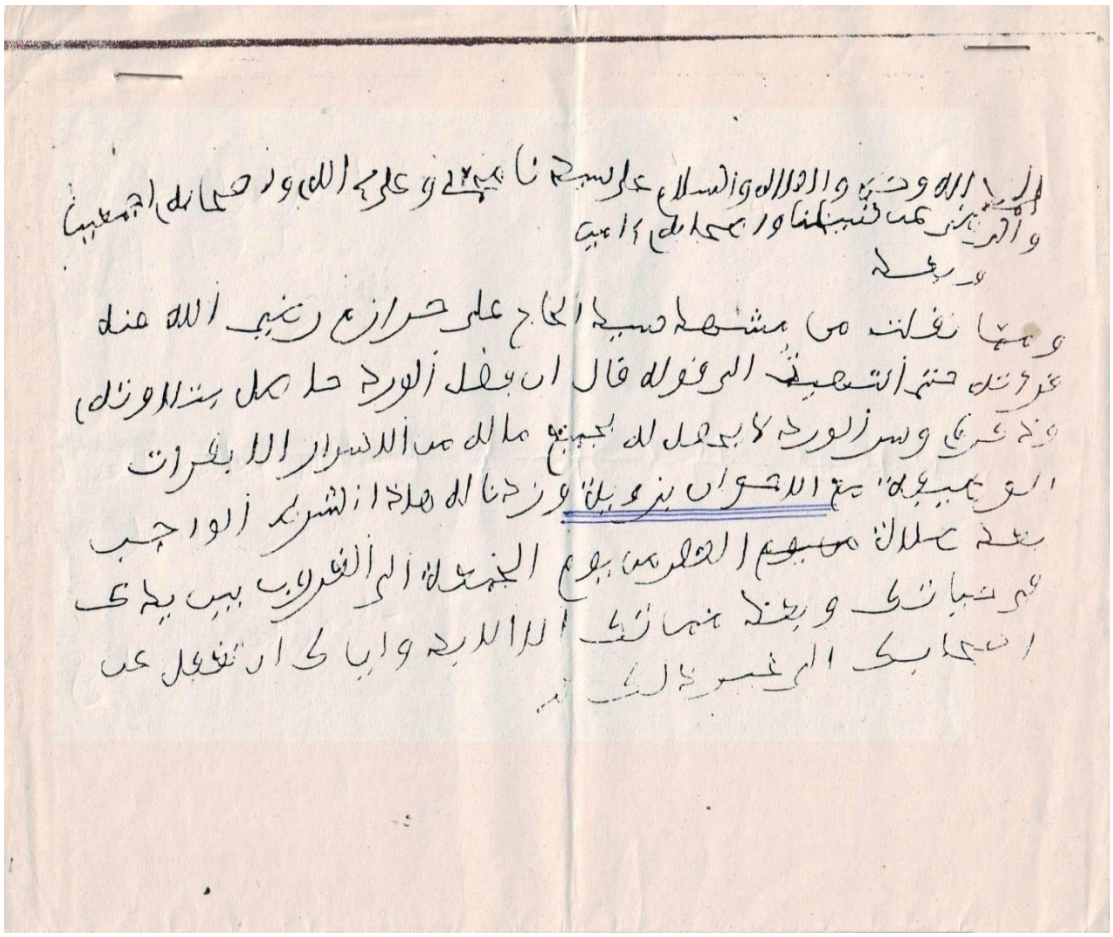

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على سيدنا محمّد وعلى آله وأصحابه أجمعين والرضى عن شيخنا والصحابة أجمعين

وبعد، وممّا نقلت من مشاهد سيدي الحاج علي حرازم رضي الله عنه قرأته حتى انتهيت إلى قوله قال إن فضل الورد حاصل بتلاوته وذكره وسر الورد لا يحصل له بجميع ما له من الأسرار إلا بقراءة الوظيفة مع الإخوان بالزاوية وزدنا له هذا الشرط الواجب بعد صلاة العصر من يوم الجمعة إلى الغروب بين يدي في حياتك وبعد مماتك إلى الأبد وإياك أن تغفل عن أصحابك إلى غير ذلك...

نسخة من خط سيدي الحاج الحبيب بن حامد رضي الله عنه

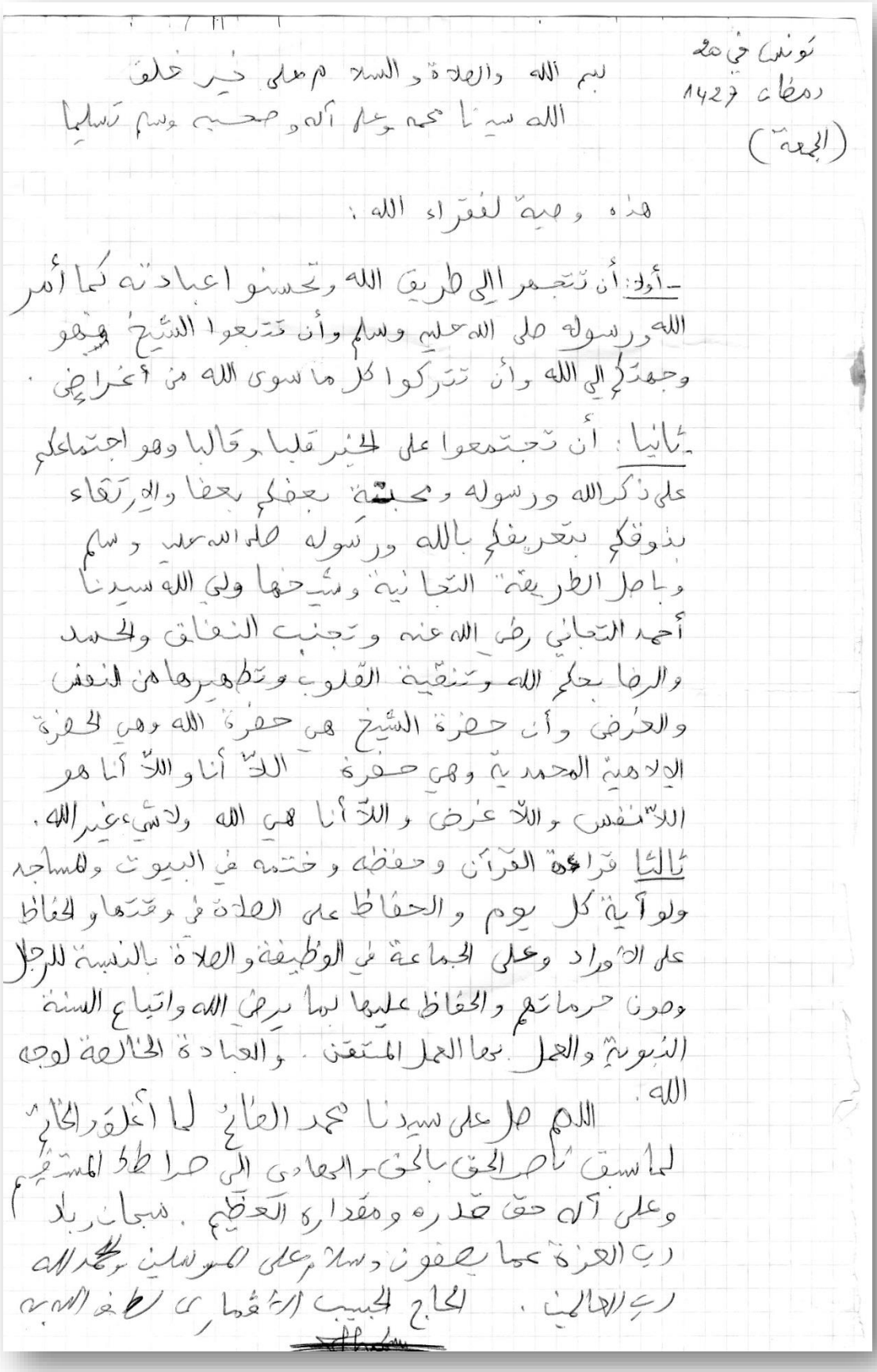

تونس في ٥ رمضان ١٤٢٧
(الجمعة)

بسم الله والصلاة والسلام على خير خلق
الله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

هذه وصية لفقراء الله:

-أولا: أن تتجهوا إلى طريق الله وتحسنوا عبادته كما أمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وأن تتبعوا الشيخ فهو وجهتكم إلى الله وأن تتركوا كل ما سوى الله من أغراض.

-ثانيا: أن تجتمعوا على الخير قلبا وقالبا وهو اجتماعكم على ذكر الله ورسوله ومحبة بعضكم بعضا والارتقاء بذوقكم بتعريفكم بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم وبأصل الطريقة التجانية وشيخها ولي الله سيدنا أحمد التجاني رضي الله عنه وتجنب النفاق والحسد والرضا بحكم الله وتنقية القلوب وتطهيرها من النفس والعرض وأن حضرة الشيخ هي حضرة الله وهي الحضرة الإلهية المحمدية وهي حضرة اللا أنا واللا أنا هو اللا نفس واللا عرض واللا أنا هي الله ولا شيء غير الله.

-ثالثا قراءة القرآن وحفظه وختمه في البيوت والمساجد ولو آية كل يوم والحفاظ على الصلاة في وقتها والحفاظ على الأوراد وعلى الجماعة في الوظيفة والصلاة بالنسبة للرجل ودون حرماتهم والحفاظ عليها بما يرضي الله واتباع السنة النبوية والعمل بها العمل المتقن. والعبادة الخالصة لوجه الله.

اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم. سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين. الحاج الحبيب الشماري خادم الطريقة

بسم الله والصلاة والسلام على خير خلق الله سيدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما. هذه وصية لفقراء الله:

- **أولا:** أن تتجهوا إلى طريق الله وتحسنوا عبادته كما أمر الله ورسوله صلّى الله عليه وسلّم وأن تتبعوا الشيخ فهو وجهتكم إلى الله وأن تتركوا كل ما سوى الله من أغراض

- **ثانيا**: أن تجتمعوا على الخير قلبا وقالبا وهو اجتماعكم على ذكر الله ورسوله ومحبة بعضكم بعضا والارتقاء بذوقكم بتعريفكم بالله ورسوله صلّى الله عليه وسلّم وبأصل الطريقة التجانية وشيخها ولي الله سيدنا أحمد التجاني وتجنب النفاق.

والحمد والرضا بحكم الله وتنقية القلوب وتطهيرها من النفس والغرض وأن حضرة الشيخ هي حضرة الله وهي الحضرة الإلهية المحمّدية وهي حضرة اللا أنا واللا أنا هو اللا نفس واللا غرض، واللاّ أنا هي الله ولا شيء غير الله.

- **ثالثا**: قراءة القرآن وحفظه في البيوت والمساجد ولو آية كل يوم والحفاظ على الصلاة في وقتها والحفاظ على الأوراد وعلى الجماعة في الوظيفة والصلاة بالنسبة للرجال وصون حرماتهم والحفاظ عليها بما يرضي الله واتباع السنة النبوية والعمل بها العمل المتقن والعبادة الخالصة لوجه الله

اللهم صل على سيدنا محمّد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

الحاج الحبيب الأقماري لطف الله به

بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

الدرس الأول: العبودية لا قاع لها

تونس في11 محرم 1439هـ الموافق لـ 2 أكتوبر 2017م

السارد: يقول سندنا سيدي الحاج الأحسن البعقيلي رضي الله عنه في الإراءة الجزء الثاني: فما عليه العارف الأكبر والخاتم الأشهر والفرد الأعظم شيخنا رضي الله عنه هو عين السنة ولبابها فلا يقف مع حال ولا يوسم بمقام لسلوكه المقامات كلها في نفس واحد من غير تعريج عليها فمطمح بصره جمال وجلال الله فلا يذم الدنيا ولا الآخرة ولا فقرًا ولا غنًى ولا صحة ولا مرضًا ولا رحمة ولا عذابا ولا حجابا ولا فتحًا ولا سرًا ولا علمًا ولا وهبًا ولا عملاً ولا ظهورًا ولا خفاءً بل فني عن المدح والذم لفنائه في حضرة الإحسان فهو واقف بين يدي مولاه محسن ومحسن في عمله ونياته وأكله وشربه ونكاحه وقوله وحركاته وسكناته فلا حظّ للمراتب فيه لإعراضه ابتداءً عما سوى الله فانتهى أمره إلى ربه دائمًا فما سخره مولاه تسخر بسيده لسيده ولا غرض له فيه فإنه عبد وأي عبد فاحتاجت إليه الأكوان لكمال احتياجه لربه فلا تغرنّك ظواهر أصحابه فتعتقد أنهم كالناس لا والله ليسوا كغيرهم لكمال صفائهم وكمال خلوصهم من حضرة السوى فمرتبة كل واحد منهم لو ظهرت ما وصلها كل الأولياء من عصره لأنه عبد فليس بولي اتباعًا لشيخه

البيان: قوله رضي الله عنه "اتباعا لشيخه"، يعني اتباعا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فهو الذي رباه وعلمه، فلا ينظر إلى المراتب ولا إلى أي شيء آخر، وهو روح الطريقة، فكلما سمع الإنسان شيئا فإنه يفهمه أولا ثم يذوقه ثم يطبقه، ثم يتوسع فيه لأنه لا قاع له، فالعبودية لا قاع لها، فكلما غرق فيها العبد إلا ولم يجد لها قاعا يصله

السارد: فهو عبد لا حظّ له في الولاية لفنائه عنها أطلالاً ورسومًا

البيان: ولأنه عبد فهو لا يريد ولاية ولا تصريفا ولا أي شيء آخر غير الله سبحانه وتعالى، قال صلّى الله عليه وسلّم: ((**عرضَ عليَّ ربِّي عزَّ وجلَّ أن يجعلَ لي بطحاءَ مَكةَ ذَهبًا فقلتُ لا يا ربُّ ولَكن أجوعُ يومًا وأشبعُ يومًا فإذا شبعتُ حمدتُكَ وشَكرتُكَ وإذا جُعتُ تضرَّعتُ إليكَ ودعوتُكَ**)) [الترمذي والبيهقي] وقال صلّى الله عليه وسلّم: ((**لقد هبَط عليَّ ملَكٌ من السَّماءِ ما هبط على نبيٍّ قبلي، ولا يهبِطُ على أحدٍ بعدي؛ وهو إسرافيلُ عليه السَّلامُ، فقال: السَّلامُ عليك يا محمّد، أنا رسولُ ربِّك إليك، أمرني أن أخبِرَك إن شئتَ أن تكونَ نبيًّا عبدًا، وإن شئتَ نبيًّا ملِكًا، فنظرتُ إلى جبريلَ عليه السَّلامُ، فأومأ إليَّ أن تواضَعْ، فقال النَّبيُّ صلّى الله عليه وسلّم: نبيًّا عبدًا، فقال النَّبيُّ صلّى الله عليه وسلّم: لو أنِّي قلتُ: نبيًّا ملِكًا ثمَّ شئتُ لسارت معي الجبالُ ذهبًا**)) [أبو نعيم في حلية الأولياء]. وذلك حين خُيّر صلّى الله عليه وسلّم بين المُلك والعبودية، اختار العبودية فالمُلك يستلزم منه تصريفا وتصرفا ولو بالظاهر فقط وهو يحب أن

يكون رسولا عبدا لله، والمراد من العبودية هو الالتصاق بحضرة الربوبية كما ينبغي، فهنيئا لمن أدرك هذه المرتبة وهي مرتبة العبودية، فهي غاية الغايات

السارد: فاختصه الله بما لم يختص به واحدًا من أهل الولاية فأعطيت له التصاريف إلى قيام الساعة ينقلها من أصحابه إلى آخر فرد في الدنيا وهو آخر ميت ((**فلا تقوم الساعة حتّى لا يَبقى على وجه الدنيا من يقول الله**))[4] يعني بالحضور وهو القطب الغوث الفرد فسبحانك يا رب ما أعظم شأنك

البيان: قوله صلى الله عليه "**من يقول الله**" يعني بالحضور القلبيّ، فانظروا رحمكم الله ذكر عشية الجمعة كم فيه من الكلمة المشرفة "الله"، وأما الشيخ التجاني رضي لله عنه وأصحابه الأكابر فقد أعطيت لهم هذه المقامات والتصريفات الظاهرة والباطنة وكذلك لهم الكونية وهي قوله تعالى ﴿**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾ (82) سورة يس، وهي تكون بإذن الله سبحانه وتعالى ﴿**وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوتَى بِإِذْنِي**﴾ (110) سورة المائدة، فيحيي ويميت ومع ذلك تقيده الآداب مع حضرة الله تعالى، اللهم إلا إن قيل له تصرّف!، فإنه يتصرف سببا لا غير، في حين أن له القدرة الإلهية على أن يجعل السماء تحت الأرض والبحر بين هواء وفضاء، وكل ذلك بدون تعب، فحتى كلمة التكوين "كُن" لا يكملها.

---

[4] قال صلّى الله عليه وسلّم: **لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حتَّى لا يُقالَ في الأرْضِ :اللَّهُ، اللَّهُ.** البخاري ومسلم.

بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

الدرس الثاني: من بنى لله بيتًا

زاوية جربة في 13 رجب 1438 هـ الموافق لـ 11 أفريل 2017م

البيان: عند قراءة الوظيفة يحضر معنا الشيخ سيدي أحمد التجاني رضي الله عنه، ويجلس معنا سيدنا أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه، وكذا سيدنا عمر الفاروق رضي الله عنه، وسيدنا عثمان ابن عفان الحيي الذي تستحيي منه الملائكة، وسيدنا علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه، وما أدراك من هو علي ابن أبي طالب، رضي الله تعالى عن جميعهم، ويجلس معنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فإنكم ولله الحمد في خير عظيم، فلا تهتموا بمن قال ولا بمن قيل، ولا بمن جهل ولا بمن علم، فقد أعطاكم الله سبحانه وتعالى أن تجلسوا في كل يوم مع سيد الوجود صلّى الله عليه وسلّم، وكل هذا الخير يسري إلى الأجداد رحمهم الله جميعا وإلى العروق الممتدة، فيصح فيه قوله صلّى الله عليه وسلّم: ((**إذا مات الإنسانُ انقطع عنه عملُه إلا من ثلاثةٍ : إلا من صدقةٍ جاريةٍ. أو علمٍ ينتفعُ به. أو ولدٍ صالحٍ يدعو له**))[5]، أو يستغفر له،

---

[5] قال صلّى الله عليه وسلّم: **إذا مات الإنسانُ انقطع عنه عملُه إلا من ثلاثةٍ: إلا من صدقةٍ جاريةٍ. أوعلمٍ ينتفعُ به. أوولدٍ صالحٍ يدعوله**

الراوي: أبو هريرة | المحدّث: مسلم

فكل واحد منا إنما هو ولد صالح يستغفر لآبائه، وزد على ذلك هذه الجدران في هذه الزاوية فهي كذلك تستغفر لهم، فكل من أراد أن يعمل لآخرته فإنه سيجد ما يمكن عمله، وكل ما ساهمنا به في بيت من بيوت الله تعالى إلا ووجدناه حاضرا في اليوم الآخر بل ويجده أولادنا وأولاد أولادنا، ويظل هذا العمل يكسبنا الأجر والثواب إلى أبد الآبدين ولا ينتهي، فبإمكانكم أن تساهموا ولو بدينار أو بوضع حجر في هذه الزاوية، ولو مرة في العمر، قال صلّى الله عليه وسلّم ((**مَنْ بَنَى لله بيتًا بنى اللهُ له بيتًا في الجنةِ**))[6]، وقال صلّى الله عليه وسلّم: ((**سبعٌ يَجري للعبدِ أجرُهُنَّ، وهوَ في قَبرِه بعدَ موتِه: مَن علَّمَ علمًا، أو أجرَى نهرًا، أو حفَر بِئرًا، أو غرَسَ نخلًا، أو بنَى مسجِدًا، أو ورَّثَ مُصحفًا، أو ترَكَ ولدًا يستغفِرُ لهُ بعد موتِه.**)) أي يبقى له من الأجر كما لو كان حيًّا في الدنيا ويدركه ذلك الأجر المزيد وهو في قبره ((**مَن علَّمَ علمًا، أو أجرَى نهرًا، أو حفَر بِئرًا، أو غرَسَ نخلًا**)) وإنما ذكر النخل هنا لشرفه والمراد منه من غرس أي شجرة من الأشجار كالزيتون مثلا ((**أو بنَى مسجدًا**)) بأن يبنيه كاملا أو يضع فيه ولو حجرا واحدا، كقول بعضهم: اتخذتم هذا المكان زاوية تعبدون الله فيها فإني معكم أساهم ولو بدينار ((**أو ورَّث مصحفًا، أو ترك ولدًا يستغفِرُ له**

وقال صلّى الله عليه وسلّم: **كلُّ عملٍ منقطِعٍ عن صاحبِهِ إذا ماتَ، إلَّا المرابِطَ في سبيلِ اللهِ، فإنَّه يُنَمَّى له عملُهُ، ويُجرى عليه رزقُهُ إلى يومِ القيامَةِ.**

الراوي: العرباض بن سارية | المحدث: السيوطي | المصدر: الجامع الصغير

[6] قال صلّى الله عليه وسلّم: **من صلَّى لله ثِنتي عشرةَ ركعةً من النهارِ دخل الجنةَ ومن بنى لله بيتًا بنى اللهُ له بيتًا في الجنةِ**

الراوي: أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان | المحدث: البخاري | المصدر: التاريخ الكبير

بعد موتِه))[7]، وقد كان سيدي الحاج الأحسن البعقيلي رضي الله عنه يشجع الفقراء على المساهمة ولو بالقليل وكان ينبههم رضي الله عنه إلى أنه بمقدوره أن يأتي ذلك الأمر وحده ويكمله وحده لأن الله أوسع له في الرزق والمال فينفق بلا حساب، وأمثاله كثيرون وهم الذين ينفقون من خزائن الغيب، وسيبقى هذا الأمر إلى يوم القيامة، فالعارف بالله لا يوقفه شيء، وقد كان بعض ميسوري الحال في زمن سيدي الحاج الأحسن البعقيلي رضي الله عنه يمتلك بقرتين من الأبقار الهولندية وهما من أضخم ما يكون ويضرب بهما المثل، وكانتا بمثابة ثروة في ذلك الزمان، وقد حرض سيدي الأحسن ذلك الرجل كثيرا ومرارا على أن يشارك في بناء الزاوية ولو بأقل قليل عملا بقوله صلّى الله عليه وسلّم: ((**يد اللهِ مع الجماعةِ**)) [صحيح مسلم] لكنه رفض أن يساهم مع إخوانه في الإنفاق، فلم يمر وقت طويل حتى صدم القطار تلك الأبقار وقضى عليها.

تم بحمد الله.

[7] رواه أبو داوود والبزار وابن حبان.

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

الدرس الثالث: سر نشر الإزار في الوظيفة

زاوية جربة في 13 رجب 1438 هـ الموافق لـ 11 أفريل 2017م

السارد: يقول سيدي الحاج الأحسن البعقيلي رضي الله عنه في الإراءة الجزء الثاني طبعة درب غلف الصفحة 79:

البيان: الحاج الأحسن البعقيلي رضي الله عنه من أكابر علماء الأمة، وهو مشهور سواء في الجامعات بالعلم الشرعي أو بين الناس بالولاية، وذلك لمؤلفاته في تفسير القرآن وفي التصوف وفي النحو وفي الحديث النبوي الشريف وفي ميادين شتى، وقد كتب عشرات الكتب وعشرات الرسائل وهو آية من آيات الله العظام، ولذا إذا سمعتم كلامه رضي الله عنه فافهموه جيدا واحمدوا الله تعالى أن جعلكم من هذه الدائرة، فإن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يحبه كثيرا، وهو من الذين يلتقون معه يقظة لا مناما، فيحدثه ومما قال له صلّى الله عليه وسلّم: ((**كل من أخذ عنك فكأنما أخذ عني ومن صافحك فقد صافحني**))[8]، وهذه موروثة في سنده رضي الله عنه، ولذا افرحوا كثيرا لأنكم في عناية كبيرة من الله سبحانه وتعالى ومن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم،

[8] راجع الشرب الصافي من الكرم الكافي حاشية على جواهر المعاني للعلامة الأحسن البعقيلي طبعة درب غلف الجزء الأول الصفحة 7

وإنكم في محل القرب ولكن أفيقوا ولا يبقى الواحد منكم وهو في الأربعين من عمره أو ربما في الخمسين وهو في عين الكنز الأحمدي المحمّدي ومع ذلك يكتفي بسبحته ويرى الأمور بعيدة المنال

السارد: وانشر للجوهرة ثوبًا نقيًا طاهرًا نظيفًا طيبًا

البيان: أكثر الناس لا يعرفون لماذا ننشر ثوبا طاهرا في الوظيفة؟ وسيدنا الشيخ رضي الله عنه له كثير من الأمور التي هي عين السنة النبوية كنشر الإزار مثلا، لماذا ينشر الإزار في الزاوية وهي أصلا نظيفة؟ وهل يعتبر نشره أكرمكم الله بدعةً؟ على الناس أن يعرفوا أن نشر الإزار أو الثوب هو من سنة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فقد نشره كما هو ثابت في الأحاديث الصحيحة مع سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه[9]. فكان له في ذلك الثوب تبرك عظيم برسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وأما نحن فإن وظيفتنا يحضر فيها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فهو سبب وجود ذلك الثوب أو الإزار،

---

[9] حدث أبو هريرة رضي الله عنه قال: إنَّ إخواني مِن الأنصارِ كان يشغَلُهم عمَلُ أَرضِيهم وأمَّا إخواني مِن المُهاجِرينَ فكان يشغَلُهم الصَّفْقُ بالأسواقِ وكُنْتُ أخدُمُ رسولَ اللهِ صلّى الله عليه وسلّم على مِلْءِ بطني فأشهَدُ ما غابوا وأحفَظُ إذا نسُوا ولقد قال رسولُ اللهِ صلّى الله عليه وسلّم يومًا: (**أيُّكم يبسُطُ ثوبَه فيأخُذُ حديثي هذا ثمَّ يجمَعُه إلى صدرِه فإنَّه لنْ ينسى شيئًا يسمَعُه**) فبسَطْتُ بُردةً علَيَّ حتَّى جمَعْتُها إلى صدري فما نسِيتُ بعدَ ذلكَ اليومِ شيئًا حدَّثني به ولولا آيتانِ في كتابِ اللهِ ما حدَّثْتُ شيئًا أبدًا ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ۙ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ**﴾ [البقرة: 159]

الراوي: عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها المصدر: صحيح ابن حبان

وكذلك ما صار مع الشيماء أخت الرسول صلّى الله عليه وسلّم، وملخص ما فيه: لَمَّا كانَ يومُ فتحِ هوازنَ جاءتِ امرأةٌ إلى رسولِ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلّم فقالت: أنا أختُكَ شيماءُ بنتُ الحارثِ. قالَ: **إن تَكوني صادقةً فإنَّ بِكِ منّي أثرًا لن يبلَى**. قالَ: فَكشفَت عن عضُدِها، ثمَّ قالت: نعَم يا رسولَ اللَّهِ حملتُكَ وأنتَ صغيرٌ فعضَضتَني هذِهِ العضَّةَ، فبسطَ لَها رداءَهُ تعظيما وتشريفا وزيادة إنافة وإظهار مرتبتها رضي الله عنها ثمَّ قالَ: **سلي تُعطَي واشفعَي تُشفَّعي**[10]. وكثير من الأمور التي قام بها صلّى الله عليه وسلّم في هذا المعنى من نشر الإزار، وهو ما كان عليه كثير من الأولياء كذلك، كالإمام أحمد بن حنبل حين ناداه الهاتف قائلا: إن عندك هدية من النبي صلّى الله عليه وسلّم فأعطاه ما يشبه الإزار فكان يفرشه عند الذكر وعند الصلوات وأوصى بأن يكفن فيه بعد مماته، ولذا على الإنسان أن يطّلع ويقرأ الكتب، وهذا لكم جميعا لكي تعرفوا ما أنتم عليه، فلا تبقوا مجرد أربع أشخاص يذكرون وظيفتهم ثم يقومون إلى دنياهم، فلا يبقى شيء من هذه الدنيا ويكفيكم ما أخذتم منها، بيوتا ومالا ورزقا، وأما الآن فعليكم بالعلم، وانظروا أين أنتم من ربكم، واقتربوا منه سبحانه وتعالى ببركة الشيخ رضي الله عنه وببركة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وزيدوا في الرقي أكثر فأكثر، فهذا ما يمكن قوله في نشر الإزار، وعليه فلابد لكم من إزار أو ثوب طاهر نظيف طيب في الوظيفة وخاصة في جوهرة الكمال

[10] الراوي: قتادة | المحدث: البيهقي | المصدر: دلائل النبوة

البيان: وانشر للجوهرة ثوبًا نقيًا طاهرًا نظيفًا طيبًا وجوبًا نظريًا واقتداءً بالشيخ رضي الله عنه

السارد: لماذا قال: اقتداءً بالشيخ رضي الله عنه؟ ولماذا نتبع الشيخ رضي الله عنه؟ لأنه لا يأتي بأي فعل إلا إذا أمره به النبي صلّى الله عليه وسلّم، ولهذا قال رضي الله عنه: **ما ذكرت ذكرًا إلا ما رتبه لي صلّى الله عليه وسلّم**، بمعنى: لا أفعل شيئا ولا أترك فعل شيء إلا إذا قاله لي صلّى الله عليه وسلّم، وعليه فالنبي صلّى الله عليه وسلّم هو الذي أمره بنشر ثوب طاهر نظيف طيب في جوهرة الكمال من الوظيفة، ويكون ذلك مع آخر حبات لا إله إلا الله فيكون الإزار منشورا مع أول حبة من جوهرة الكمال ثم يرفع ذلك الثوب بعد الانتهاء من آخر جوهرة الكمال، ويجوز التبرك به والتكفين فيه، لأن فيه السر، وسره وإن لم يذكره الشيخ مباشرة، ولكن قال فيه سيدي محمّد الكبير البعقيلي رضي الله عنه: سرها هو سر المدد، أي سرها الباطني المخفي وهو أنها صراط للمدد، فهذا هو سر الإزار، وهو مخفي لا يظهر علمه من علمه

السارد: فوجب عليه جميع ما عليه عمله وإن كان أصله الندب مبالغة في النظافة

البيان: قوله أصله الندب أي أنه واجب وجوبا نظريا لا وجوبا شرعيا فرضيا، ولكن نظريا أي من باب الاتباع وهو أن لنا قدوة فنتبعه رضي الله عنه، وأما حكمه في الوظيفة فهو الندب أي مندوبٌ

السارد: فإن أطلعك الله على سره في قلبك فذاك

البيان: أي لو أن الإنسان يعرف هذه المعلومة وهذا السر ولم يأذن في قوله وإفشاؤه فإنه يخشى على نفسه، ولكن ما دام قد قالها الخلفاء فقد قلناها، ولم نأتي بأمر جديد من عندية أنفسنا، فهذا لمن أطلعه الله على سره وأما من لم يطلعه فإنه يقتدي ويمتثل ويتبّع فيربح، وسر الإزار كما قلنا هو سر المدد، هو الحامل للمدد، ومن جملته أنه على الإنسان ألا يمد ساقيه ولا أن يُخرج ويكشف إصبعا من أصابع رجليه، ولا يكفي لبس الجوارب أي تغطيتها بالجوارب (الكلاسط) فقد أمرني سيدي الحاج رضي الله عنه أن أغطيها ولو بعد لبس الجوارب، فإن من كشف ساقيه في الوظيفة فهو كما قال الشيخ البعقيلي رضي الله عنه كمن كشف عورته في حضرة الوظيفة، فيستر الإنسان قدميه وإن استطاع أن يثني ساقيه فهو ذاك وإلا فليستر قدميه وأصابع ساقيه ويغطيها بغطاء، وأما من لم يستطع ثني ساقيه فـ﴿**لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا**﴾[11]، وأما من لم يستطع لعلة أصابته فليستر ساقيه في الحبات الست الأخيرة من جوهرة الكمال كما فعلتُ، لأني لا أقدر على ثني ساقي، في هذا الوقت، وكما فعل بعض الفقراء بأن جعل ثوبا على ساقيه، فالمطلوب أن نحترم ذلك المقام وأن نعي نحن وغيرنا ويكون هناك نشاط واحترام وخشوع

السارد: فإن أطلعك الله على سره في قلبك فذاك وإلا فامتثل تربح

البيان: وإلا فامتثل وسيُلقى في قلبك في كل مرة شيء من النور، فكل ما كان في قلبك وعرفته يقينا فإنه صحيح فلا تتلاعب به، وهذا يكون بينك

[11] (286) سورة البقرة

وبين نفسك، فلا تُفْتِ لنفسك فتوى غير هذا، فأنت تسمع ما في قلبك وغيرك كذلك يسمعه، فأنت لست بمفردك، فالفقير عموما ليس منفردا فإن معه جنودا مجندة من الملائكة ومعه شيخه ومعه نبيه صلّى الله عليه وسلّم، والخلفاء كذلك من سيدي الحاج الأحسن إلى سيدي محمّد القمار إلى سيدي محمّد الكبير، فالجميع معك، فليحذر الإنسان مما يجول في قلبه من خواطر فهو ليس بمفرده، ومن أين كل هذا؟ من قوله صلّى الله عليه وسلّم: ((**اتَّقُوا فِراسةَ المؤمنِ، فإنَّهُ ينظرُ بنورِ اللهِ**))[12]، فالمؤمن يسمع كل خاطر يجول في قلبك، فعليك بالصدق والصفاء والنظام

السارد: وابتداءُ نشره عند الجوهرة وإنما ينشر لحروفها لا غير

البيان: لا كما يقول بعضهم من أن نشر الإزاء يكون من أول الوظيفة، بل ينشر من آخر حبات من "لا إله إلا الله" حتى لا نبدأ أول كلمة في جوهرة الكمال إلا والإزار منشور فالإزار ينشر لحروف الجوهرة

السارد: وما يفعل في الزواوي الكبار من نشر بعضه في وسط الهيللة إنما هو نشر يتم مع الهيللة لا أنه نشره للهيللة

البيان: هذا يخص الزواوي الكبار من حيث المساحة فينشر فيها الإزار وربما إزاران اثنان كما رأينا بفاس بزاوية الشيخ رضي الله عنه وفي درب غلف

[12] الراوي: أبو سعيد الخدري | المصدر: سنن الترمذي

الزاوية البعقيلية ينشر أي يبدأ نشره من وسط الهيللة أو آخرها وذلك حتى يفتتحوا جوهرة الكمال والثوب منشور، لأنه ينشر لحروف الجوهرة

السارد: وعليه فإن قلّ الفقراء ينشره عند ختم الهيللة

البيان: أي كما هو الحال الآن، فنحن تسعة أو عشرة أفراد فننشر الثوب من الحبات الأخيرة من الهيللة

فقير: وإن كان عدد الفقراء قليلا كثلاث أو أربع أفراد، فهل ينشر الإزار قبل ذلك؟

البيان: لا نتشدد في هذا الأمر كثيرا، فالمطلوب نشره عند الحبات الأخيرة من الهيللة، حتى نفتتح جوهرة الكمال والثوب منشور

السارد: وهذا سنة سيدنا رضي الله عنه **فمن لم تصلحه السنّة لا أصلحه الله** قاله الإمام مالك رضي الله عنه

البيان: فمن لم تصلحه السنّة لا أصلحه الله، فعليكم بالسنّة، وسنّة الشيخ رضي الله عنه كلّها سنّة النبي صلّى الله عليه وسلّم، فاعتقدوا هذا الأمر اعتقادا راسخا ثابتا وانتهى الموضوع، فكل ما فعله الشيخ التجاني رضي الله عنه وخلفاءه فهو سنّة الرسول صلّى الله عليه وسلّم، لا زيادة في ذلك ولا نقصان، فقد اختصر لنا رضي الله عنه المسافات ومهد لنا الطريق وجعل لنا الزاد وما بقي إلا أن نقتات منه، فلا تتعبوا أنفسكم بكثرة البحث، فأنتم في غنًى عن ذلك، فهل يظل الإنسان عمره كاملا يبحث في مسألة الصلاة بالقبض

أو بالسدل؟، فعلينا بالشيخ فقد كفانا عناء البحث فيها، وكذلك هل البسملة آية من الفاتحة أو أنها وردت من غير بسملة؟ فقد كفانا همّ هذا الأمر فهو رضي الله عنه عالم العلماء مشهود له به عند الخاص والعام وعارف بالله وولي ويلتقي برسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقظة

السارد: ويجوز التبرك به وأن يكفّن فيه الميت ولا سيما أهل الخصوصية والغرباء ومن أوصى به أو أحبّ الطريقة وإن لم يسلك في سلكها فلا حسد على الفضل فالشيخ رحمة رضي الله عنه ولا ينشر لهيللة الجمعة وما يقع لبعضٍ بحضورهم من تركه إلى ختام الهيللة فمن باب غلبة الحال على كبيرهم

البيان: وهذا كما قال رضي الله عنه من باب غلبة الحال على المقدم، فيتركون الإزار للهيللة يوم الجمعة، وإلا فإن الأصل أن يُجمَع عند اختتام الوظيفة أي عند آخر حبة من جوهرة الكمال ولا يُترَك للهيللة

فقير: إلى أي مدى يكون الاقتداء بالرسول صلّى الله عليه وسلّم وبالشيخ رضي الله عنه؟

البيان: الاقتداء يكون بكتاب الإراءة، فإن صاحب الإراءة رضي الله عنه قد فصّل فيها كل أمر، من الاعتقادات ومن العبادات اللازمة كالصلوات والطهارة وإقامة الصلاة، فقد شرح باطن الأمر فيها، ثم ذكر ما يلزم من الأخلاق ومن السنة النبوية ثم الأحاديث الشريفة ثم نصائح عامة للفقراء التجانيين ولعامة المسلمين، فمن اتّبع الإراءة فقد اقتدى اقتداءً كاملا بسيد الوجود صلّى الله عليه وسلّم وبالشيخ رضي الله عنه، فلم يترك فيها شيئا لازما

من الدين إلا وشرحه وبينه رضي الله عنه، ولا عليك في الباقي. هل نصلي العشاء؟

فقير: ننتظر حتى يتم المؤذن آذانه

السارد: هذا من الفقه، نعم ننتظر حتى يكمل المؤذن ثم نقيم الصلاة، فمن حصّل نقطة واحدة من الفقه فقد صار فقيها فيها، ثم نقطة أخرى، وهكذا دواليك، وعلى الإنسان أن يحكي الآذان أي أن يعيد مثل قوله أي يقول مثل ما يقول المؤذن، إلا أنه يجعل الحوقَلَةَ (قوله: لا حول ولا قوة إلا بالله) في جوابِ الحيْعَلَتينِ (قوله: حي على الصلاة وقوله: حي على الفلاح) وفي الحديث الشريف: ((**مَن قال حينَ يَسْمَعُ المؤذنَ : أشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له وأن محمّدا عبدُه ورسولُه، رَضِيتُ باللهِ ربًّا، وبمحمّد رسولًا، وبالإسلامِ دِينًا ؛ غُفِرَ له ذنبُه**))[13]، وعنِ الحسَنِ بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أنَّه قالَ: **من قالَ حينَ يَسمَعُ المؤذِّنَ يقولُ أشهدُ أنَّ محمّدا رسولُ اللَّهِ: مرحبًا بحبيبي وقُرَّةِ عَيني محمّد بنِ عبدِ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلّم ثمَّ يقبِّلُ إبهاميه ويجعلُهُما علَى عَينيهِ لم يعْمَ ولم يرمَدْ.**[14] وقال صلّى الله عليه وسلّم: ((**لا يُرَدُّ الدُّعاءُ بين الأذانِ والإقامةِ**))[15]، فوجب علينا التيقظ عند القدوم للزاوية وعدم التفكر في أمور الدنيا من بناء بيت ودهنه وتزويقه، بل يعتبر الإنسان نفسه في المدينة المنورة أو في مكة، فترتاح في الزاوية ويخرج من هذا العالم، فيعطي نفسه

---

[13] الراوي: سعد بن أبي وقاص | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم

[14] الراوي: الحسن بن علي بن أبي طالب | المحدث: السخاوي | المصدر: المقاصد الحسنة

[15] الراوي: أنس بن مالك | المحدث: أبو داود | المصدر: سنن أبي داود

ساعة من زمن يرتاح فيها من الدنيا، ثم يرجع لبيته وزوجته وأولاده، وأما هنا في الزاوية فكأنك في حج، فرارا من الدنيا إلى الآخرة، ومن لم يفعل فإنه يضر بدنياه ويضر بآخرته والعياذ بالله تعالى، تبقى مسألة أخيرة وهي مسألة القَزَعِ، فما هو القَزَعُ؟ أن يُحلَقُ بعضُ رأسِ الصبيِّ ويُترَكَ بعضٌ[16]، فاحلِقْهُ كلَّهُ أو دعْهُ كلَّهُ، وزيّن أفعالك وزيّن علمك وزيّن عملك وزيّن لسانك وزيّن طهارتك الباطنة، وكن عالما ماجدا، ولا تزين ظاهرك فقط كما يفعل الناس، ولكن زيّنه بما يليق، فممنوع التشبه بغير المسلمين في زيهم، فنحن مسلمون متشبثون بديننا كما ينبغي، فلا نتشبه باليهود في ظفر شعرهم، ولا نتشبه ببعض الناس فنرسل الشعر ونتركه دون نظافة، قال صلّى الله عليه وسلّم: ((**من اتَّخذ شعرًا فليحسنْ إليه أو ليحلِقْه**))[17]، وقال صلّى الله عليه وسلّم: ((**إن اتخذت شعرا فأكرمه**)) [السيوطي في الجامع الصغير].

فمن أراد أن يطيل شعره يمكنه ذلك بشرط أن يبقيه نظيفا طاهرا، ولا يتشبه بالنساء، والمراد من هذا كله أن يكون الشاب صاحب بصر حاد وعقل حاد، فيشتغل بتطوير عقله لا بتطويل شعره فقط، وأما إن انشغل بتتبع الظواهر فقط فإنه يبقى مع الظواهر.

---

[16] الراوي: عبد الله بن عمر | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم
وعن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما قال سمِعْتُ رسولَ اللهِ صلّى الله عليه وسلّم يَنهى عن القَزَعِ. قال عُبَيدُ اللهِ: قلتُ: وما القَزَعُ؟ فأشار لنا عُبَيدُ اللهِ قال: إذا حلَق الصبيُّ، وترَك ها هُنا شعرةً وها هُنا وها هُنا، فأشار لنا عُبَيدُ اللهِ إلى ناصيتِه وجانبَي رأسِه
الراوي: عبد الله بن عمر | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري

[17] الراوي: أبو قتادة | المحدث: الهيثمي | المصدر: مجمع الزوائد

قال الشيخ سيدي أحمد التجاني رضي الله عنه: "**زاويتُنا دارُنا، نفعل فيها ما نشاء**"، وبخصوص هذه الزاوية، فحين كانت على ملك والدي رحمه الله، قال لي سيدي محمّد القمار رضي الله عنه: "أطلب من والدك أن يكتبها باسمك"، وإن كان في الشرع ليس لنا الحق أن نفعل هذا الأمر، فكيف يكتبها باسمي ويحرم أشقائي وشقيقاتي من حقهم في الميراث؟!، وقد امتثلت لأمره وأبلغت والدي، لأني أعرف أن سيدي محمّد القمار رضي الله عنه ممن يتقابلون دائما مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ولكن والدي لم يقبل في البداية وكذلك والدتي، وبعد سنوات وقبل وفاته كتبها باسمي ولم يغضب لهذا الأمر أي واحد من أشقائي أو شقيقاتي، بل قبلوا الأمر ببساطة، وقد حسنت فيها ما استطعت وجعلتها كالمضافة حيث يمكنهم استعمالها وقتما أرادوا ليصلوا رحمهم ويتفسحوا ويبيتوا فيها، فماذا أصبحت اليوم؟؟؟، ها قد أصبحت زاوية، كما هو حال الزوايا الكبار في تونس وترقلاش ومنزل بورقيبة وماطر، حينها فقط انتبهت أنها هي الزاوية وتذكرت الوالد رحمه الله وتذكرت الآباء والأجداد، فرضي الله عن سيدي محمّد القمار الذي أراد أن يربح آبائي وأجدادي وكل من وضع فيها حجرا، فهذه داركم وهي دار الشيخ رضي الله عنه، فاذكروا الله فيها ونظفوها وقوموا على شؤونها، فالزاوية ليست ملكا لأي كان، وإنما هي ملك لمن يخدمها ويقف فيها وينظفها ويذكر الله تعالى فيها، ولا تخشوا شيئا، فأنتم تذكرون الله تعالى، ومن يذكرِ اللهَ فإن اللهَ يذكره ولا ينساه، فَاذْكُرُونِي ﴿**أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ**﴾[18] فنحن ننصر هذا الدين، والقرآن الكريم يقول

[18] (152) البقرة

﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ**﴾[19]، فنحن لا نتدخل في السياسة ولسنا من الإرهاب في شيء، فلا تخشوا شيئا، فليس لنا إلا كأس شاي وعبادة الله ونتدارس العلم ونهتم بمصالح أطفالنا فنزرع فيهم منذ الصغر بذرة الدين الصحيح، فمن تلقّح منهم فلا تخشى عليه شيئا، فيصير كل شيء في قلبه، وكل من رآه لا يظنه فقيها ولا عالما، ولكنه في الحقيقة يعرف كل شيء، بما أوتي في قلبه، فعلى الإنسان ألا يخالف ما يجول في قلبه، فيخرج منه الجواب الصحيح على السليقة ومن دون تفكير، فطريقتنا مبنية على الكتاب والسنة، ووردها أنشأه الرسول سيدنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم بذاته. قال سيدي إبراهيم الرياحي رضي الله عنه:

وما ظنُونُك بالوِرْدِ الذي نظمت يَدُ * النُّبُوَّةِ هل يُبْنَى بلا ساس[20]

فالشيخ سيدي أحمد التجاني رضي الله عنه هو قطب الأقطاب والعارفين منذ خلقت الدنيا إلى أن تفنى، فهو سلطان الأولياء أجمعين، في جميع الأزمنة حتى في الآخرة، وذلك حتى يظل الواحد فرحا ناشطا على الدوام، وهو الذي يتجلى في المأذون، فالصوت صوت المتكلم والكلام الحقيقي للشيخ التجاني بذاته، إلا أن الناس يكونون في دهشة، ولذلك قال سيدي الأحسن البعقيلي رضي الله عنه: "... **فأدنى المراتب عندنا إن درسنا العلوم النقلية أننا نستحضر صورة الشيخ هي التي تدرس ونحن نائبون عنه ونشاهد صورة الشيخ رضي الله عنه هو المملي على الناس أعني أننا نراه بعيني رؤوسنا هو المدرّس فنضع**

---

[19] (7) سورة محمّد

[20] راجع القصيدة السينية لسيدي إبراهيم الرياحي رضي الله عنه

أيدينا على أفواهنا فيخرج الإملاء منه رضي الله عنه ولذلك لو طلبنا أحد أن ندرس له في التوراة الذي ما قرأناه لأمليناه عنه بتمامه فإنه بالشيخ فتحصّل أنه لا تصدر منّا كلمة حالية ولا كلمة أنانية بكل اعتبار فلله الحمد ..."[21]، فعليكم أن تفهموا هذا الأمر جيدا حتى تروا ذات الشيخ رضي الله عنه في ذات المتكلّم، ولا تروا المتكلّم، فإن بشريته قد تطغى عليكم فتخفي وتحجب عنكم الحقائق التي يجب أن تروها، بل وجب أن تروا ذات الشيخ رضي الله عنه وذات النبي صلّى الله عليه وسلّم وذوات جميع الخلفاء رضي الله عنهم في ذات المتكلّم المأذون، حينها فقط ستخرج بكم إلى فضاءات وعلوم أخرى، ولكن ما دمت ترى ذات المتكلّم فلان صديقا كان أو أخا أو ابنا لك، فإنك ستبقى مع تلك الذات البشرية، فإن القطب الأكبر يصير هو بذاته ذاتا للرسول صلّى الله عليه وسلّم، دمًا ولحمًا وشحمًا وعظمًا، ولذلك قال الشيخ البعقيلي رضي الله عنه فيما معناه: فمن لم يكن له رسول الله صلّى الله عليه وسلّم دما ولحما وشحما وعظما فلا يسمّى بالرّجل، فيتجلى فيه تجليا كاملا. وأما الآن فسيروا إلى دياركم ونسائكم وأولادكم وارتاحوا قليلا والسلام.

تم بحمد الله تعالى.

[21] الشرب الصافي من الكرم الوافي على جواهر المعاني للحاج الأحسن البعقيلي الطبعة الأولى درب غلف الجزء الثاني ص131

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

الدرس الرابع: عمل الخاصة من أصحاب سيدنا رضي الله عنه وعنهم آمين

زاوية جربة في 14 رجب 1438 هـ الموافق لـ 12 أفريل 2017م

السارد: يقول سيدي الحاج الأحسن البعقيلي رضي الله عنه في الإراءة الجزء الثاني طبعة درب غلف الصفحة 79:

ولا ينشر (أي الإزار) لهيللة الجمعة وما يقع لبعض بحضورهم من تركه إلى ختام الهيللة فمن باب غلبة الحال على كبيرهم لاستغراقه في بحر المشاهدة وهابه من في مجلسه لا غير واتبع الطريقة ما دمت بصحوك **وللضرورة أحكام تخصها**

البيان: قوله رضي الله عنه: "وللضرورة أحكام تخصها" أي عند أصحابها وعند أربابها وليس كل واحد يمكنه أن يدعي أنه صاحب حال أو أحوال خاصة، إلا البعض القليل وهو الذي يغلب عليه حاله ثم يرجع، فبعض الأكابر من المقدمين مثلا قد يشاهد من الهيللة طلعة النبي صلّى الله عليه وسلّم، فيجمع بين الوظيفة والهيللة دون أن يرفع الرداء الذي له سر عجيب وهو من سنة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وقد يهاب الفقراء ذلك المقدم من أجل ذلك الحضور الذي يكون عليه فيستحيون من مقدمهم ولا يرفعون الرداء،

ولكن الأصل فيه أن يرفع ويطوى عند نهاية الوظيفة كما فعلنا، فلا ينشر إلى الهيللة وإنما ينشر في جوهرة الكمال، من آخر حبة في "لا إله إلا الله" ومع ابتداء أول حروف الجوهرة إلى ختامها أو إلى ختم الدعاء فيرفع حينها، والأَوْلى أن يرفع بختم الجوهرة كما هو العمل في فاس ودرب غلف والزوايا الكبار، وقد كان سيدي الحاج القمار رضي الله عنه وأرضاه يوصينا أن إذا ذهبنا إلى زاوية فاس يقول رضي الله عنه: قيّدوا كل ما ترونه من هيآت الصلاة والركوع والسجود والوظيفة إلخ ...

السارد: فمن جلس مع المَشاهِدِ يفنى عن حسه بحسنه

البيان: من الناس من يفنى الفناء الحقيقي، ولا يتكلفه ولا يجهد نفسه حتى يقع له، بل يكون هجوميا، فيفنى بكل وضوح وحين يفيق فكأنه لم يكن في العالم أصلا، فلا يحس لكل ما حوله من جميع الأمور، وهذا موجود

السارد: وهو فانٍ بكليته ورسوم الطريقة باقية ببقاء الشريعة ولها حمال وحفّاظ نظير الشريعة

البيان: فذلك الرجل أو المقدم الكبير يكون فانيا بكليته ولكن رسوم الطريقة باقية فهو يفنى ثم يصحو، فرسوم الطريقة هي الأصل وهي باقية، ومن رسوم هذه الطريقة أن الثوب لا يفرش إلا في آخر الهيللة ويجمع آخر الجوهرة، وذلك لأن الطريقة إنما هي طريقة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ولا اجتهاد فيها، ليس فيها إلا أقوال الرسول صلّى الله عليه وسلّم، وأقوال الشيخ رضي

الله عنه، وكذلك أقوال العارفين الذين شربوا من عين واحدة، ونحن نقتدي بهذا الأمر فقط

السارد: ويستحب ختم الهيللة مع الغروب عملاً للشيخ ومن قدمها فضرورة لا غير وإن وفّقك الله أهديت ثواب أورادك لحضرة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم نيابة عن الشيخ رضي الله عنه فذلك موكول إلى مقامك في صفاء المحبة بعد اعتقادك أن النبي صلّى الله عليه وسلّم أغناه الله عن إهدائنا

البيان: إن النبي صلّى الله عليه وسلّم يزيد قدره وثوابه وقربه من ربه إلا بربه، ولا يزيد بأي شيء آخر ولو كان دعاء العارفين والأقطاب، فما زاد ذلك فيه شعرة واحدة صلّى الله عليه وسلّم، فما عرفه غير ربه ولا يزيده إلا ربه تعالى، ولكن إهداء جميع ما نفعله إليه هو اعتراف بالأصل، لأنه هو الأصل في الإيمان هو الأصل في الإسلام وهو الأصل في المدد وبه أسلمنا وبه آمنا وبواسطته نتحرك ونستغفر ونصلي عليه ونوحد ربنا إلى غير ذلك، فلذلك نهدي جميع ما لنا من ثواب في صحيفته أدبا معه صلّى الله عليه وسلّم، نيابة عن الشيخ رضي الله عنه، وهذا الأمر مهم جدا لأنك لو أهديت له شيئا صلّى الله عليه وسلّم فإنه يحفظه لك ويحفظك به، ويحفظك من الدعاوي ويحفظك من العجب الذي يهلك صاحبه ويربي لك ذلك الثواب الذي أهديته له حتى يخبأه لك في الآخرة فيربّيه لك فتجد يوم القيامة جبالا وجبالا مثل جبل أُحد وهي آلاف وملايين ومليارات، فتقول يا رب مما هذا؟ فيقول لك هذا عملك الصغير الذي عملته يوم كذا وأهديته للنبي صلّى الله عليه وسلّم فربّاه

لك النبي وربيته لك بشفاعته وبكرمه، فيكون لك ثواب عظيم به، وذلك حتى لا تعول عليه، ﴿**وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ**﴾[22]، فيرفعه ويتقبله لأنه ليس فيه غرض مع الله تعالى، ويرفعه كذلك عن نظرك فلا تنشغل به، ولا تقول مثلا: ذكرت الاسم "الله" ليلة البارحة عشرة آلاف مرة، ورأيت من الأنوار ما رأيت، فكل ذلك فضيحة لك مع الله تعالى، وإنما عليك أن تقول: وفقني الله تعالى إلى ذكره وقد أهديته لحضرة النبي صلّى الله عليه وسلّم وضعته في حجره، فتعيد وتستأنف العمل من جديد، فيكون لك العز والكرامة والمجد الأثيل القديم الذي لا يزول، لماذا؟ لأنه محبّأٌ لك عند الله تعالى، وأما إن قلت "**أنا**" فتلك مصيبة إبليس، جعلها الله تعالى للعالمين، ﴿**قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ**﴾[23]، ﴿**قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ**﴾[24]، ﴿**قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ**﴾[25]، فهذا مقام الحضرة الإلهية ولا تتماشى معه إلا العبودية، وما العبودية إلا الانكسار والتذلل للمالك الرحمن الجبار سبحانه وتعالى بجميع شعراتنا وأنفاسنا وحركاتنا وسكناتنا وخواطرنا وواردتنا وكل شيء فينا ساجد سجدة واحدة لله دائمة لا تنفد، بدون تعمّل ولا دعوى ولا نظر إلى ذلك الشيء، فلا يلاحظه ولا يجعل فيه

---

[22] (10) سورة فاطر

[23] (76) سورة ص

[24] (77) سورة ص

[25] (13) سورة الأعراف

غرضا ولا لُحوظا ولا أي شيء، فيهدي جميع أعماله لحضرة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فيرتاح، ثم من الغد يعيد من جديد، وهكذا

السارد: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾[26] وأنه إنما شرّع ازديادًا في المحبة لا غير ومن اعتقد أنه يزيد له المراتب بالإهداء أو بالعمل فهو جاهل لمناط الشرع قطعًا

البيان: قوله رضي الله عنه "جاهل" فالمراد منه أنه لا يعرف، وكثير من الناس هم على هذا النحو، لماذا؟ لأنه لم يقرأ الكتب، لم يقرأ الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلّى الله عليه وسلّم، ولم يقرأ جيدا سيرة الصحابة رضي الله عنهم، ولم يقرأ جيدا السيرة النبوية لابن هشام، ولم يقرأ ما قاله العارفون بالله تعالى في هذا الباب حيث فسروه جيدا وقربوه منا، فمن لم يقرأ فإنه إذا سمع كلمة فسيظل يرددها دون فهم، فمن اعتقد أنه يزيد للنبي صلّى الله عليه وسلّم بالإهداء أو بالعمل أو بأي شيء كان فهو جاهل لمناط الشرع قطعًا، لأن النبي صلّى الله عليه وسلّم هو الذي يزيدنا ولسنا نحن من نزيده

السارد: وعمل الخاصة من أصحاب سيدنا إهداء جميع ثواب أعمالهم له صلّى الله عليه وسلّم فرضًا أو نفلاً

البيان: فهذا عمل الخاصة من أصحاب سيدنا وكلهم خاصة، وهو إهداء جميع أعمالهم فرائضا وسننا ونوافل إلى حضرة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فكلما قاموا بعمل إلا وقالوا بعده: هذه هدية مني إليك يا سيدي يا رسول الله

---

[26] (4) القلم

نيابة عن الشيخ التجاني رضي الله تعالى عنه. فينسى هذا العمل ويخبأه عند رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ويعيد العمل من جديد

السارد: بحيث لا يرون سعيهم إلا نيابة عنه

البيان: نيابة عنه بواسطته وببركته وبشفاعته وبمدده العام في العموم والخاص في الخصوص وبوجوده حقيقة لا هلى سبيل الاعتقاد، فالعارف بالله تعالى إذا قال أستغفر الله فإنه يرى النبي صلّى الله عليه وسلّم هو الذي يستغفر حقيقة، وهذه هي الحقيقة، فما نحن إلا ظلّه صلّى الله عليه وسلّم، فمن لم يكن له شهود فلا ينافي الوجود، أي من لم يكن له شهود الواسطة العظمى صلّى الله عليه وسلّم وكذلك الشيخ رضي الله عنه وكذلك الوسائط فلم يشهدها فلا ينفي وجودها، وإن نفاه فهو غير منفي بل موجود دائما وأبدا والشيخ رضي الله عنه يزيد مع الوسائط، فبهم نحن نذكر الله ونتذاكر، فالشهود لا ينفي الوجود، والوجود موجود ولكن قد يتعذر الشهود فمن شهد فقد شهد ومن لم يشاهد مع اليقين فكأنه شاهد، فمن صدّق شيخَه فهو شاهدٌ معه، أي شاهدٌ بشهودهِ ومع شهادة شيخه، فينتهي هذا الموضوع بالنسبة له مع التصديق، فيقول: شاهدتُ بمشاهدتك، وصدقتُ بشهادتك وبرؤيتك، ﴿**آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ**[27]﴾، فقد شاهدت شيخك الذي شاهد فانتهى الأمر

[27] (285) سورة البقرة

السارد: ويستشفعون بجاهه فضلا على معاصيهم وبنهجهم اسلك فأنت على خير كامل ولله الحمد وعلى أتم هداية وبصيرة حيث وفقك الله لمعرفة خاصة خاصته المقربين

البيان: إن وفقك الله لهذا فأنت على خير كامل ولله الحمد فلا تغتر ولا تقل وصلتُ، وإنما كن واقفا عند الباب كعبد من عباد الله تعالى فشرفك في العبودية، ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ**﴾[28].

تم بحمد الله تعالى.

[28] (1) سورة الإسراء

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

الدرس الخامس: اليقين

زاوية جربة في 14 رجب 1438 هـ الموافق لـ 12 أفريل 2017م

البيان: ليس هناك ما هو أعظم من اليقين، وهو صفة أهل الله وأهل القلوب وأهل الألباب، (**فإنَّ أحدًا لم يُعطَ بعدَ اليقينِ خيرًا منَ العافيةِ**)[29]، قال صلّى الله عليه وسلّم ((**خيرُ الزادِ التقوى، وخيرُ ما أُلْقِيَ في القلْبِ** اليقينُ)) [الجامع الصغير] فأهل العقول الربانية لا يحتاجون لأن يروا أو يكاشفوا لأن ذلك إنما يكون للتثبيت، فيثبت الله تعالى به أناسا لا نقول أنهم ضعفاء ولكنهم فعلا ضعفاء، وهم ضعفاء لأن يقينهم ناقص، فلو اتكلتم على الله حق التوكل ولو عبدتم الله حق عبادته لرأيتم الله جهرةً، (**أنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فإنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فإنَّه يَرَاكَ**)[30]، أفي الله شك؟، وهل ثمة غير الله تعالى في هذا الوجود،

---

[29] قامَ أبو بَكرٍ الصِّدِّيقُ على المنبرِ ثمَّ بَكى فقالَ قامَ رسولُ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلّم عامَ الأوَّلِ على المنبرِ ثمَّ بَكى فقالَ سلوا اللَّهَ العفوَ والعافيةَ فإنَّ أحدًا لم يُعطَ بعدَ اليقينِ خيرًا منَ العافيةِ

الراوي : رفاعة بن عرابة الجهني | المصدر: سنن الترمذي

[30] كانَ النبيُّ صلّى الله عليه وسلّم بَارِزًا يَوْمًا لِلنَّاسِ، فأتَاهُ جِبْرِيلُ فَقالَ: ما الإيمَانُ؟ قالَ: الإيمَانُ أنْ تُؤْمِنَ باللَّهِ ومَلَائِكَتِهِ، وكُتُبِهِ، وبِلِقَائِهِ، ورُسُلِهِ وتُؤْمِنَ بالبَعْثِ. قالَ: ما الإسْلَامُ؟ قالَ: الإسْلَامُ: أنْ تَعْبُدَ اللَّهَ، ولَا تُشْرِكَ به شيئًا، وتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ المَفْرُوضَةَ،

﴿**وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ**﴾[31]، فإذا ما عرف الإنسان ربه فإن ذلك يكون أقوى مما يعرف أمه وأباه ومما يعرف من نفسه، فمن يحركنا من نتنفس به من نعقل به من نؤمن به من نصلي له، ونحن لم نره؟!، إذن فقد رأيناه، وأما باقي ضعاف الناس والذين باق فيهم الإيمان إلى درجة مّا، فيُحلَّون بمثل هذه المشاهد، ويُحلَّون بالكرامات، ويُحلَّون بالرؤى في المنام، حتى يثبتوا، وأما العاقل فقد عرف ربه وانتهى الأمر بالنسبة له، قُلِ اللّهُ، ﴿**قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ**﴾[32]، حينها ينتهي كل أمر، فلا يحتاج معه لا إلى وارد ولا إلى غيب ولا إلى رؤية، فمن عرف الله حق المعرفة ومن عرف الرسول صلّى الله عليه وسلّم حق المعرفة حُرم حتى رؤية النبي صلّى الله عليه وسلّم، وهي أعظم ما يشاهد الإنسانُ، بتلك الطلعة البهية صلّى الله عليه وسلّم، ولكن كل من فرغ من شأنه يُطوى سجلّه، وأما من كان في تعثر متواصل فإنه قد يكاشف ببعض الأمور، وربما قليلا في البداية فقط، وقد ورد في الشرب الصافي جزء الثاني قول شيخنا البعقيلي رضي الله عنه "فالمريد في أول سلوكه يمنيه الله

وتَصُومَ رَمَضَانَ. قالَ: ما الإحْسَانُ؟ قالَ: **أنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأنَّكَ تَرَاهُ، فإنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فإنَّه يَرَاكَ**، قالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ قالَ: ما المَسْئُولُ عَنْهَا بأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ، وسَأُخْبِرُكَ عن أشْرَاطِهَا: إذَا ولَدَتِ الأمَةُ رَبَّهَا، وإذَا تَطَاوَلَ رُعَاةُ الإبِلِ البُهْمُ في البُنْيَانِ، في خَمْسٍ لا يَعْلَمُهُنَّ إلَّا اللَّهُ ثُمَّ تَلَا النبيُّ صلّى الله عليه وسلّم: {إنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ} [لقمان: 34] الآيَةَ، ثُمَّ أدْبَرَ فَقالَ: رُدُّوهُ فَلَمْ يَرَوْا شيئًا، فَقالَ: هذا جِبْرِيلُ جَاءَ يُعَلِّمُ النَّاسَ دِينَهُمْ.

الراوي: أبو هريرة | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري

[31] (21) سورة الذاريات

[32] (91) سورة الأنعام

بالكرامات فإذا ثبت بالعلم واليقين صار جبلا قال صلّى الله عليه وسلّم **من استكمل ورعه حرم رؤيتي**[33]. يعني منعها فإنما فائدة الرؤية التثبيت فقد ثبت بالشريعة ورسى وأدلى" ا.هـ ﴿**فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ**﴾[34]، والحمد لله تعالى، فالمؤمنون أمرهم عظيم، فلا يعرف المؤمنون كما لا تعرف درجات نبيهم في الدنيا ولا في الآخرة، وخاصة منهم الأولياء والعارفون، وخاصة المحمّديون

فقير: بعض الفقراء رأى صورة سندنا سيدي الحاج محمّد القماري رضي الله عنه، فسأل: هل كان هو قطبَ زمانه؟

السارد: البحث عن هذا الأمر معقّد، فقد يأتي بعضهم ويقول كان هو القطب، وربما يأتي آخر ويقول: لا، لم يكن هو القطب، وربما تدخل على الأنترنات فتجد كلاما آخر، فهذا كله باب تشويش على الفقراء وعلى الناس، وخاصة بالنسبة للإنسان المبتدئ الذي لا يعرف الطريقة، أو ربما مازال لم يتحاكك مع أهلها، وربما كان لعهد قريب في تواصل مع طرق أخرى ومع أهلها، وربما يكون له فهم أو نظرة خاصة به، فيستحب له ألا يدخل في هذه الأمور، ونحن نقول له: عليك بقراءة الكتاب، وتعلّم علم الطريقة حتى تعرف ما هي الطريقة؟ ومن هو صاحب الطريقة؟ ومن هم علماء الطريقة؟ وأما إن أردت أن تعرف هل كان رضي الله عنه قطب زمانه؟، فإن أردت فنعم هو القطب،

---

33 أخرج الديلمي في الفردوس عن ابن عباس رضي الله عنهما: "من استكمل ورعه حرم رؤيتي

34 (159) سورة آل عمران

وكذا فإن من لقنك الطريقة قد قال لك: أذنتك في الطريقة التجانية كما أذنني فيه شيخنا ووسيلتنا إلى ربنا العارف بالله تعالى الشريف القطب الجامع، فقد قيل لك هذا فإن صدقته فلا تسأل، وإن فاتك فسألت، فإن المقصود هو المعرفة، لأنه سواء كان قطبا أو غير قطب فإنه عارف بالله تعالى ويتلاقى مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقظة وممسك بزمام أئمة وعلماء وأولياء زمانه، وولايته الربانية ظاهرة، وهو قطب لمّا كان شيخه قطبا جامعا، فهو القطب، وقد تحدثت معه رضي الله عنه في هذا الأمر، ولكن ما هو القطب الأكبر؟ ليس مناما أو خيالا، بل يكون الأمر يقظة، فيأتيه النبي صلّى الله عليه وسلّم، ويأتيه الشيخ التجاني رضي الله عنه، ويأتيه الخلفاء الراشدون الأربعة رضي الله عنهم في جمع غفير من الملائكة ويعطى له صندوق المؤمنين ويعطى له صندوق الكفار فيعرفهم بأسمائهم ويطبع عليهم بطابعه الذي يعطى له وقتها وتعطى له عصا الخلافة ويقال له: اسمع أنت القطب، أنت القطب، أنت القطب. فليس في هذا الأمر شك ولا خلاف، فهذه خلافة عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

ولهذا فنحن نشجع دائما على قراءة العلم، وذلك كي لا يتعلق الناس ونحن كذلك لا نتعلق بمثل هذه الأمور، لأن هذا أمر الله تعالى، وهذا من أمور الباطن فنتركه للباطن، وما عليه المدار أن يتعلم الإنسان كيف يصلي كيف يذكر الله تعالى وكيف يعبد ربه سبحانه وتعالى على مستوى النية وعلى مستوى الإخلاص وعلى مستوى التوحيد وعلى مستوى فقه العبادات وفقه الطريقة وفقه المعاملات والأخلاق، فهذا ما يجب على الإنسان أن يتعلمه

جيدا، وأما الباقي فهو مترابط مع كل هذا ويتبع بعضه البعض، وأما إن لم يوجد كل هذا، كما رأينا في طرق أخرى فينقرون الصلاة نقرا، فهل أن الرسول صلّى الله عليه وسلّم حين نهى عن نقر الصلاة كان -أكرمكم الله- يمزح معهم؟! فهل أنك إن نقرت الصلاة سيبقى بيننا حديث عن الواردات والرؤى والهواتف؟ هذا كله باطل لأن صلاتك باطلة، وقد تكون ممكورا بك، ولو كنت تُميت وتُحيي، فلا عبرة بك في سوق المقربين، فهذا ما يجب على الناس أن يفهموه جيدا فيجعلوا من كلام الله تعالى ومن كلام رسوله صلّى الله عليه وسلّم أعلى من كل كلام، أتستدلّ بالمنام على اليقظة، فتقول: جاءني الشيخ فلان ورأيت النبي صلّى الله عليه وسلّم في المنام، في حين أنك لم تتقن اليقظة، وقد يكون لا علم له -أكرمكم الله- بكيفية الاستبراء ولا بكيفية الاستنجاء، ولا يتم ركوعا ولا سجودا ولا جلوسا بين السجدتين ولا يقرأ الفاتحة صحيحة، فعن أي ولاية يتحدث، فعليه أن يأخذ حذره ولا يستهزأ بنفسه، بل يكون عاقلا مع ربه، ويكون قويا بالله لا بنفسه، ولا يغتر، ﴿**وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ**﴾[35]، وما هو الغُرور أو الغَرور؟ إنما هو اعتقاد الأمر على خلافه، فنحن لا ندعي شيئا ولا علم لنا إلا علم مشائخنا والحمد لله.

تم بحمد الله تعالى.

[35] (5) سورة فاطر

بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

الدرس السادس: ما رأس العلم؟ وما قلبه؟ وما أجنحته؟

جربة في 04 رجب 1437 هـ الموافق لـ 12 أفريل 2016م

البيان: بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمّد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

نتناول اليوم كتاب "**إفادة المريد التجاني بما ليس في كتاب جواهر المعاني**" لمؤلفه السيد محمّد بن مصطفى العلوي وهو مختصر لكتاب الجامع لسيدنا محمّد بن المشري رضي الله عنه، وكتاب الجامع كان مخطوطا والآن طبع طبعة طيبة في المغرب وقد اشتغل على هذا المبحث كثير من رجالات الطريقة رضي الله عنهم، واسمه بالكامل "**الجامع لما افترق من درر العلوم، الفائضة من بحار القطب المكتوم**". وهو كتاب مشهور جدا وكتاب عظيم وفيه جل المسائل الموجودة في كتاب "**جواهر المعاني**" وفيه كذلك مسائل غير موجودة في الجواهر. وهنا نجد أن سيدي محمّد بن مصطفى العلوي جازاه الله خيرا استخرج تلخيصا لما هو غير موجود في الجواهر. ومن جملة المسائل هناك مسألة مهمة نشاركها مع بعضنا البعض اليوم

السارد: فصل في سؤال عَقَدَهُ وسيلتنا أبو العباس أحمد التجاني قدس الله سره العجيب لمن يدعي التبحر في العلم وهو:

قال رضي الله عنه: ما رأس العلم، وما قلبه وما أجنحته؟

قال رضي الله عنه: فمن علم هذا صحت نسبة العلم له، ومن لم يقدر على حل قُفله فهوعن العلم بمعزل، لأن من علم ما فيه رُشْدُهُ وصَلاُحه ونجاتُه وسلك غيره فيسجّل عليه أنه **سفيه**[36] **في الدين** ولا تحل مجالسته فضلا عن الكلام معه في الأحكام الشرعية، لأنه ممقوت، نسأل الله السلامة من هذه الحالة. قال تعالى: ﴿**كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ**﴾[37]. وقال عز من قائل: ﴿**فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ**﴾[38]، إلى غير هذا من أنواع القوارع[39]. ودليل آخر، هو أنّ من زعم أنه ينتصر للشريعة بقوله من غير عمل بما فيها فهو كذّاب، لأنه في الحقيقة نصرته لنفسه، فقد جاء في حقه قوله تعالى: ﴿**أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ**[40]﴾،

---

[36] السَّفِيهُ لغة من يبذّر ماله فيما لا ينبغي. والسفيه في الدين من علم الطريق المستقيم الذي فيه نجاته ومرضاة الله تعالى ثم يأخذ طريقا آخر فهذا هو السفيه في الدين يبذر علمه في غير عمل صالح.

[37] (3) سورة الصف

[38] (79) سورة البقرة

[39] القَارِعَةُ: القيامة؛ لأنّها تقرع بالأهوال

[40] (44) سورة البقرة

ومن كان هذا وصفه فهو جاهل أيضا، لأن العلم محصور في الخشية، قال تعالى ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾[41]

البيان: وهذا ليس على سبيل الدلالة فقط، وإنما هو على سبيل الحصر فلا يخشى اللهَ إلا العلماءُ

السارد: ومن لم يخش الله فعلمه حجة عليه في الآخرة

البيان: فمن كان هذا وصفه فلا يسمى عالما بل يكون ذلك العلم حجة عليه أي ضده ولو حفظ كتب العالمين فلا يسجل مع العلماء

السارد: لما ورد في الحديث، ((**الْعِلْمُ عِلْمَانِ فَعِلْمٌ فِي الْقَلْبِ فَذَلِكَ الْعِلْمُ النَّافِعُ، وَعِلْمٌ عَلَى اللِّسَانِ فَذَلِكَ حُجَّةُ اللهِ عَلَى ابْنِ آدَمَ**))[42] وقال سفيان [بن عيينة] رضي الله عنه: "**إن عملتُ بما علمتُ فأنا أعلمُ الناس وإن لم أعملْ بما أعلمُ فلا أحد أجهلُ مني**[43]".

البيان: والمراد منه أني أنا أجهلُ مخلوقٍ إذا لم أعمل بما أعلم

السارد: فمن فهم هذا فلا ينبغي له إلاّ الانغماس في هذا البحر

---

[41] (28) سورة فاطر

[42] (ابن أبي شيبة في المصنف والحكيم) عن الحسن مرسلاً، (الخطيب البغدادي) عن جابر بن الله بن حرام رضي الله عنهما.

[43] المصدر كتاب الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للحافظ الخطيب البغدادي، تحقيق الدكتور محمود الطحان، الطبعة الأولى 1428هـ، مكتبة المعارف. (مطبوع في مجلدين). ص90

البيان: وما المقصود بهذا البحر؟، هو بحر العمل بما نعلم، ويشهد لهذا قوله صلّى الله عليه وسلّم: ((**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَيُلْهِمْهُ رُشْدَهُ**[44])) وقد قال الشيخ البعقيلي في هذا الباب: الفقه هو الفهم وهو كل علم أريد به العمل، فإذا لم يعمل بما علم فإنه في الآخرة يكون حجةً عليه فقط، وقد يمر ذلك مرور الكرام في الدنيا ولكنه لن يمر في الآخرة، ولذا قال الإمام مالك عن نفسه: "**ما تعلمتُ العلمَ إلا لنفسي، وما تعلمتُ ليحتاج الناس إليَّ**" ولذا تجدون في كتاب "**لباب مقاصد النظم النبوي والشفاء بالكلام المصطفوي**" للشيخ البعقيلي رضي الله عنه كثيرا من الأحاديث التي أوردها عن العالم غير العامل في نار جهنم كالحمار في الرحى يطوف به أهل النار ... وقد قال سيدي الحاج محمّد الكبير رضي الله عنه: يتعجب فيه أهل النار لأنه له خصوصية في جهنم وهي خصوصية عذاب أي له عذاب مخصوص

السارد: فمن فهم هذا فلا ينبغي له إلاّ الانغماس في هذا البحر ليتطهر من أدرانه، ويجتني من درره ليفوز في دنياه وآخرته، ومن فهم هذا وأعرض عن الاتصاف به فلا كلام عليه لأنه غارق في بحر هواه، عابد لنفسه. وفي هذا كفاية. والسلام.

البيان: وهكذا يكون رضي الله عنه قد تكلم في العلم الذي يحاط بخشية الله تعالى وورع كبيرين وأما العلم الذي لا يكون معه ورع وخشية فإنه يكون حجة على صاحبه فيهلكه نعوذ بالله من ذلك، ولذا فإن كل من تعلم علما إلا

---

[44] أبو نعيم في الحلية عن ابن مسعود رضي الله عنه

ووجب عليه العمل به وإلا فإنه أكرمكم الله يحسب عليه من النفاق، قال تعالى ﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا**﴾[45]، قال سيدي الحاج القمار رضي الله عنه: وهو يقتضي نفاق العقيدة كمن قال أسلمت وهو يخفي كفره، ويمكن كذلك أن يقتضي نفاق الأعمال، أي يقول شيئا ويعمل بضده أو لا يعمل به، فهذه المسألة الأولى، ثم يأتي الجواب إن شاء الله تعالى عن رأس العلم وقلبه وجناحيه، إلا أن الشيخ رضي الله عنه جعل أن من لم يجب على هذا السؤال فلا ينتسب للعلم ولا يظن أنه عالم، ولا يعتقد أي واحد فينا أنه بمقدوره الإجابة على هذا السؤال، فالله أعلم بالجواب ولا أقدر أن أجيب عنه مثلكم، فكلنا متعلمون، ونحن نتعلم بأن نأخذ المسألة بسندها، وبكمال اعتقادها عن أشياخنا ونسارع ثم نسارع في التطبيق والعمل بها، فإن كانت معرفة ومعلومات فتصبح علما، ومتى تصير علما؟ عندما نعمل بها ونضيفها لرصيدنا، فنبني علينا ونفرح إذا ما وفقنا الله للعمل بها

السارد: أجاب رضي الله عنه؛ بعد سؤالنا عن السؤال المتقدم؛ قال رضي الله عنه ونفعنا به آمين: "أما **رأس العلم** عند أهل الحق فهو **ألا يكون في عقله ولا في علمه ولا في وهمه غير الله**، حتى في لحظة من اللحظات.

البيان: كل من اتبع الشيخ رضي الله عنه فكأنه يجده قد أخذ الأمة الإسلامية كلها ووضعها في أعلى مقامات الإحسان، وهي المعرفة بالله التامة، فيمكن أن يكون المسلم تارة في الشك وتارة تنجلي غمامته ويصبح في اليقين

[45] (145) سورة النساء

وتارة في الحق والحقائق وتارة في الوهم ولكن ومع هذا كله لا يكون في عقله ولا في علمه ولا حتى في وهمه غير الله تعالى

السارد: وهو الذي أراده الشيخ مولانا عبد السلام بن مشيش رضي الله عنه بقوله: "وأغرقني في بحر عين الوحدة حتى لا أرى ولا أسمع ولا أحس ولا أجد إلا بها." وأن يكون متعلقا بالله قلبا وقالبا، ظاهرا وباطنا، بنبذ ما سواه وبعدم الالتفات إلى غيره جملة وتفصيلا

البيان: فيكون القلب متوكلا على الله، متوجها إلى الله، متعلقا بالله تعلقا كليا فينبذ كل ما سواه

السارد: فهذا هو زبدة الأعمال الشرعية ورأسها.

البيان: وهذه تجدونها كثيرا في كتابات سيدي أحمد التجاني رضي الله عنه، وذلك لتعرفوا من هو سيدي أحمد التجاني، هو أكبر عالم في الإسلام، ولكن الناس يركزون أكثر على ولايته رضي الله عنه وأنه قطب الأقطاب وأنه القطب المكتوم، وأنه سلطان الأولياء، نعم هذا صحيح، ولكن الشيخ رضي الله عنه هو كذلك أكبر عالم بين علماء المسلمين فنظّم وجدّد الدّين كما ينبغي وهو على أقدام الصحابة رضي الله عنهم، وهو لا يلتفت إلى غير هذا من الولاية والكرامات وإن كانت موجودة وصحيحة، فالقول الفصل في كل هذا قوله رضي الله عنه: **زبدة الأعمال الشرعية ورأسها** وسنرجع إليها، ولكن ما هي الأعمال الشرعية؟ هي الصلاة والصيام والزكاة والحج والعمرة وأعمال الخير والبر والصدقة وحسن الخلق، فما زبدة كل هذا؟ وما هو المراد وما هي الفائدة التي

تجب أن تحصل من هذه العبادات؟ والجواب هو تعلق القلب بالله تعالى وحده، فمن تعلق قلبه بالله وتوكل عليه توكلا صحيحا ولم يتوكل على غيره سبحانه وتعالى ولم يلتفت إلى غيره وعمل ما عمل لله وبالله وفي الله ولم يكن له نظر ولا وهم ولا شك ولا علم إلا بالله ولله فهو العامل الحقيقي وهذه زبدة الأعمال الشرعية من طهارة ووضوء وصلاة وصيام وكل الحركات والسكنات كلها يعملها لا لذاتها وإنما يعملها لله وبالله وفي الله، وأما العكس أي من كان يعمل كل هذا أو يعمل الكثير منه فأعماله معلولة، أي فيها العلة والمرض، من غرض ومظاهر ورياء وفيها الشرك كدبيب النمل لقوله صلّى الله عليه وسلّم: ((**الشِّرْكُ فِي أُمَّتِي أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ عَلَى الصَّفَا**[46]))[47]، فعلى الإنسان أن يصفّي أعماله فيجعلها خالصة لله تعالى فهذه هي زبدة الأعمال الشرعية ورأسها وهو أن لا يكون في عقله ولا في علمه غير الله تعالى يتحرك به وله

السارد: وأما **قلب العلم** فهو **عبادة العبد لذات الله** من غير ملاحظة شيء،

البيان: أي من غير ملاحظة شيء من الأغراض، فنعبد الله تعالى لأنه الله الذي خلقنا وأطعمنا وسقانا وأعد لنا الجنان في الآخرة وبعث بالرسل وأنزل الكتب السماوية ويحركنا ويسكننا، وهو القائم سبحانه وتعالى بجميع شؤوننا، فليس هناك أي مخلوق له فضل على مخلوق آخر، بل الله تعالى هو الذي له

---

[46] الحجارة الضخمة المنبسطة على الأرض.

[47] (الحكيم) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

الفضل علينا وعلى جميع المخلوقات، فإذا عبدناه فإنما نعبده بنية الامتثال له مع التعظيم والإجلال له ولرسله ولكتبه ولأنبيائه وأولياءه ومخلوقاته لله ودون غرض جنة أو نار، فهذا هو قلب العلم، فخلاصة القول أن رأس العلم أن لا يكون للإنسان في عقله ولا وعيه ولا وهمه ولا شكه ولا يقينه ولا اعتقاده أَيُّ التفات إلى غير الله فيكون قلبه معلقا بالله تعالى، وأما قلب العلم أن يكون كل عمله لله لا لغرض زائد من لوازم النفس أو لوازم الدنيا أو لوازم الآخرة بل تكون عبادته كلها لذات الله من غير ملاحظة شيء من ثواب أو حتى عقاب!

السارد: يقول في بعض الكتب المنزلة: "**ومن أظلم ممن عبدني لجنة أو نار، فلولم أخلق جنة ولا نارا ألم أكن أهلا للعبادة؟**"

البيان: هذا المولى سبحانه وتعالى يقول أفإن لم أخلق جنة ولا نارا أفلا يعبدني خلقي؟ ألم أكن أهلا لأن أُعبد؟ ففيهم الخائف من النار وفيهم من يبتغي الجنان والحور العين، وما خلقت ذلك إلا للضعفاء رحمة ولطفا بهم حتى لا يهلكوا في نار جهنم، وأما من كان له عقل وعرف ربه فإنه لا يعبده طمعا في جنة ولا خوفا من نار، بل لما عليه سبحانه من استحقاق ذلك وحده فيعبده لذاته

السارد: ولا ينتظر جزاء من نيل ثواب وخوف عقاب، وإنما يعبده محبة فيه وابتغاء مرضاته ليكون عبدا لمولاه خالصا من ربقة سواه

البيان: فلا يكون عبدا للدنيا ولا عبدا للمال ولا عبدا للصحة ولا عبدا للفرح ولا عبدا للأكل ولا عبدا للنساء ولا عبدا للشهوات بل يكون عبدا لربه مملوكا لله لا لغيره

السارد: مع الرضا بالقضاء والسكون تحت مجاري الأقدار من غير منازعة

البيان: يأتي هنا رضي الله عنه إلى تفصيل العبودية وهي الرضا بالقضاء والقدر والسكون خاصة بالقلب عند ورود الابتلاءات فلا يرتعش بل يوطّد[48] قلبه على السكون مع مجاري أقدار الله سبحانه وتعالى، وقد كنا البارحة تحدثنا عن رسالة بعث بها إليّ سيدي الحاج القمار رضي الله عنه ومما كتب لي فيها رضي الله عنه وأرضاه: **واصبر لمجاري الأقدار تفوز**. ا.هـ ووضع رضي الله عنه سطرا تحت كلمة تفوز. والرضا يكون من غير منازعة الحضرة الإلهية بالتغيير والتبديل بل يصبر لمجاري الأقدار وعليه بالأدب

السارد: لمن له التصرف التام في ملكه والاختيار

البيان: فالرب سبحانه وتعالى هو الوحيد الذي له التصرف التام والكامل في كل كبيرة وصغيرة وكل دقيقة في ملكه فعلى الإنسان أن يكون ساكنا صابرا متأدبا ويترك الاختيار كليا

السارد: فهذا هو الإخلاص الذي هو روح الأعمال وقلب العلم. وأما أجنحته فهي ترك العبد التدبير والاختيار لنفسه

---

[48] وطَّدَ :ترسَّخ، تثبّت وتقوَّى

البيان: ولا يقصد بترك التدبير هنا ترك التدبير المعاشي الواجب شرعا كالعمل والادخار مثلا فذلك كله أمر شرعي واجب، ولكن المطلوب هنا هو **ترك الحرص** مع التدبير، فهذا هو المذموم شرعا، بل يدبر ويسلم بقلبه لمجاري أقدار الله تعالى.

السارد: برفع ضرر أو جلب مصلحة، والرضا بحكم من له التدبير.

البيان: والذي هو الله سبحانه وتعالى

السارد: قال ابن عباس رضي الله عنه: **"ما حجب العباد إلا تدبيرهم لأنفسهم فلو تركوا التدبير لرأوا الله عيانا"**.

البيان: من هو ابن عباس؟ هو عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، وهو ابن عم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وهو المروية عنه صيغة صلاة التسبيح[49] وله خاصيات عظيمة، وقوله: **فلو تركوا التدبير لرأوا الله عيانا، وهي**

---

[49] **روى أبو داود في سننه (1297) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلّم قَالَ: (لِلْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ يَا عَبَّاسُ يَا عَمَّاهُ : أَلَا أُعْطِيكَ ، أَلَا أَمْنَحُكَ، أَلَا أَحْبُوكَ، أَلَا أَفْعَلُ بِكَ، عَشْرَ خِصَالٍ إِذَا أَنْتَ فَعَلْتَ ذَلِكَ، غَفَرَ اللَّهُ لَكَ ذَنْبَكَ أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ قَدِيمَهُ وَحَدِيثَهُ خَطَأَهُ وَعَمْدَهُ صَغِيرَهُ وَكَبِيرَهُ سِرَّهُ وَعَلَانِيَتَهُ، عَشْرَ خِصَالٍ أَنْ تُصَلِّيَ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ تَقْرَأُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ وَسُورَةً، فَإِذَا فَرَغْتَ مِنْ الْقِرَاءَةِ فِي أَوَّلِ رَكْعَةٍ، وَأَنْتَ قَائِمٌ قُلْتَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ خَمْسَ عَشْرَةَ مَرَّةً، ثُمَّ تَرْكَعُ، فَتَقُولُهَا وَأَنْتَ رَاكِعٌ عَشْرًا، ثُمَّ تَرْفَعُ رَأْسَكَ مِنْ الرُّكُوعِ ، فَتَقُولُهَا عَشْرًا، ثُمَّ تَهْوِي سَاجِدًا، فَتَقُولُهَا وَأَنْتَ سَاجِدٌ عَشْرًا، ثُمَّ تَرْفَعُ رَأْسَكَ مِنْ السُّجُودِ، فَتَقُولُهَا عَشْرًا، ثُمَّ تَسْجُدُ فَتَقُولُهَا عَشْرًا، ثُمَّ تَرْفَعُ رَأْسَكَ، فَتَقُولُهَا عَشْرًا، فَذَلِكَ خَمْسٌ وَسَبْعُونَ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ ، تَفْعَلُ ذَلِكَ فِي أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ، إِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ**

مقولة عظيمة، لأن من ترك التدبير فستُدبَّر له الأمور، ولكن الإنسان يبقى دائما في تدبير دائم لنفسه والعمر يتقدم به شيئا فشيئا فلو يجعل لنفسه بعض الأوقات فيسلم كليا ويشاهد فعل ربه ليرتاح ... أي يدرب نفسه على تسليم تام ولو في بعض الأوقات أو بعض المواقف

السارد: وأشار مولانا عبد السلام بن مشيش رضي الله عنه لهذا بقوله: "لا تختر من أمرك شيئا، واختر ألا تختار، وفرّ من ذلك المختار، ومن اختيارك ومن فرارك ومن كل شيء إلى الله تعالى ﴿**وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ**﴾[50]". انتهى كلام سيدنا رضي الله عنه وبعضه بالمعنى. فمن علم هذا، ووفق للعمل به فقد ظفر بحقيقة العلم

البيان: فلكل شيء حقيقة وحقيقة العلم في هذا الأمر، ومنه حديث سيدنا معاذ رضي الله عنه أنه دخل على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهو متكئ فقال له: كيف أصبحت يا معاذ؟ قال: أصبحت بالله مؤمنا حقا قال إن لكل قول مصداقا ولكل حق حقيقة فما مصداق ما تقول؟ قال يا نبي الله! ما أصبحت صباحاً قط إلا ظننت أني لا أمسي وما أمسيت مساء قط

تُصَلِّيَهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مَرَّةً، فَافْعَلْ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَفِي كُلِّ جُمُعَةٍ مَرَّةً، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَفِي كُلِّ شَهْرٍ مَرَّةً، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَفِي كُلِّ سَنَةٍ مَرَّةً، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ، فَفِي عُمُرِكَ مَرَّةً).

وروى الترمذي نحو هذا الحديث من رواية أبي رافع (كتاب: الصلاة، باب: ما جاء في صلاة التسبيح، رقم الحديث: 482).

[50] ﴿**وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاء وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ (68) سورة القصص

إلا ظننت أني لا أصبح ولا خطوت خطوة إلا ظننت أني لا أتبعها أخرى وكأني أنظر إلى كل أمة جاثية وكل أمة تدعى إلى كتابها معها نبيها وأوثانها التي كانت تعبد من دون الله وكأني أنظر إلى عقوبة أهل النار وثواب أهل الجنة قال له صلّى الله عليه وسلّم: (**عرفت فالزم**)[51] فقد عرف حقيقة الإيمان وهي رفع الحجب عن أمور الآخرة والتحقق واليقين بما يقرأه من القرآن والسنة وما أتى به رسول الله صلّى الله عليه وسلّم

السارد: فمن علم هذا، ووفق للعمل به فقد ظفر بحقيقة العلم وصحت نسبته إليه، وهو الذي ورد مدحه في الكتاب والسنة على لسان نبيه صلّى الله عليه وسلّم، ومن لم يتصف بهذا فالجهل وسمه، وضرره لنفسه أكثر من نفعه. والسلام وصلى الله على سيدنا محمّد وعلى آله وسلم

البيان: وعموما على الإنسان أن يفهم هذه المسائل كما ينبغي ويراجعها دائما لكي يعلم أين هو من الطريقة والتي هي طريقة علم وطريقة عمل وطريقة اتباع السنة بالكلية وطريقة افراغ القلب مما سوى الله تعالى وطريقة اليقين وطريقة تربية وهو أن للإنسان فترة من الزمن يعيشها وأن الحياة الدائمة هي حياة الآخرة وأن كل ما سوى الله تعالى هو شيطانك، إن شغلك عن الله،

---

[51] قال [حارثةُ] إنّي مؤمنٌ حقًا فقال صلّى الله عليه وسلّم إنَّ لكلِّ حقٍّ حقيقةً فما حقيقةُ إيمانِكَ قال عزفَتْ نفسِي عَنِ الدُّنيا فاستوى عندِي حجرُها وذهبُها وكأني بالجنةِ وبالنارِ والعرشِ ربِّي بارزًا فقال صلّى الله عليه وسلّم **عرفتَ فالزمْ**، عبدٌ نوَّرَ الإيمانُ قلبَهُ الترمذي في أدب النفس

قاله سيدي محمّد القماري رضي الله عنه لأن كل ما شغله عن الله تعالى لحظة واحدة من الزمن فهو شيطان كبير. فعلى الإنسان في معاملته مع كل ما يشغله عن الله تعالى أن يصبر له مرة أو مرتان فإن انتبه فليتركه كليا وليسلّم لمجاري الأقدار تتصرف فيه، وليشغل نفسه بأمور تعبدية أخرى لا بتلك المسائل التي كلما كبّر للصلاة تذكرها فشغلته عن صلاته وعبادته وإلا فإنها أصبحت له ربّا يَعبدُهُ من دون الله سبحانه وتعالى، فعليه أن يزيحها عن خاطره بأن يشتغل عنها بنظره لله تعالى كليا.

وعلينا أن تفهم مثل هذه المسائل ونتحققّها وندرسها حتى إذا ما رجعتم إذا جواهر المعاني والشرب الصافي وبقية كتب الشيخ رضي الله عنه فيكون حينها بإمكانكم فهم مقاصده والتي هي روح الطريقة، والطريقة ليس فيها إلا الرب سبحانه والنبي صلّى الله عليه وسلّم والشيخ رضي الله عنه لأنه هو الذي دلنا على دلالة الحقائق والتي إن فهمها الإنسان فإنه لا يضيع لأن هذا الدين بحر واسع بل هو أبحر فوق أبحر، فمن يقدر أن يريك مثل هذا؟ لا يقدر عليه إلا الرجل المتحقق رضي الله عنه وأرضاه والذي يكون في لقاء دائم مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فهو لم يأت بشرع جديد بل هو شرع الإسلام ولكن لتتخلق به وتتحقق به فلابد لك من دالٍّ يدلك ومرشدٍ يرشدك ويقيك المهالك في سلوكك إلى الله تعالى وإلاّ ضاع الإنسان بين الشكوك والأوهام والاعتقادات الفاسدة وبين الأعمال المعلولة بالحظوظ واللحوظ وحب الشهرة والرياء ولا يصل إلى زبدة العلم وزبدة العبادة وزبدة التوجه إلى الله تعالى وزبدة الإخلاص، فلا يصل إلى مثل هذا إلا بالتحقق وبالعمل بما قاله

الشيخ رضي الله عنه وأرضاه ولذا ابتدأ كلامه رضي الله عنه وأرضاه بقوله "أما رأس العلم عند أهل التحقيق" فدلّنا على شدّ أيدينا على الكتب والمراجع المنقحة والمبيّنة بنور وبعلم أهل التحقيق رضي الله تعالى عنهم فقال عند أهل التحقيق إذًا رأس العلم وزبدة الأعمال الشرعية هو أن لا يكون في عقلك ولا علمك ولا وهمك إلا الله تعالى. وقلب العلم هو الإخلاص أن تعبد الله لذاته لا لغرض آخر وأما جناحاه فهو ترك العبد التدبير والاختيار لنفسه وهو أن تحرص في الاختيار واعمل بالأسباب الشرعية والعادية ولكن لا تحرص بل اترك من الاختيار يختار لك. وبه نختم جعلنا الله تعالى منهم بفضله ومنته آمين وصلى الله على سيدنا محمّد وعلى آله وصحبه.

تم بحمد الله تعالى.

بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

الدرس السابع: أهل المعروف لا ينسون من أدى إليهم معروفًا

تونس في 07 محرم 1436هـ الموافق لـ 31 أكتوبر 2014م

البيان: بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمّد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

كل من دخل الطريقة التجانية فقد نَذَر نذرًا على نفسه، ولابد من الوفاء بالنذر، فكل من ألزم نفسه بشيء عاهد عليه الله تعالى فلابد من الوفاء به، وكما رأينا اليوم في فقه الصوم أن الصيام الواجب أنواع، فصوم رمضان واجب وصيام النذر كذلك واجب، لماذا؟ لأنه نذره على نفسه فأصبح واجبا عليه، فإن نقضه بمرض أو بغيره، فأفطر ذلك اليوم الذي صامه نذرًا لله تعالى فيجب عليه قضاءه كما يجب عليه قضاء يوم أفطره في رمضان، وكذلك العهود التي عاهد عليها الله تعالى ومنها هذه الطريقة، فإذا اشترط عليه المقدم شروطا فقبلها المريد فعليه الوفاء بنذره تجاه تلك الشروط التي قبلها، فهو لم يطلب منه أحد أن يأخذ هذه الطريقة بل ساقه إليها سائق السعادة، فإذا ما اشترط عليها شروطا فقبلها أي عاهد المقدم على ذلك، فأصبح ذلك العهد بينه وبين ربه بل وأكثر من ذلك، فهذا الأمر لم يبق بينه وبين ربه فقط بل إن كل سلسلة السّند من المشائخ الذين هم واسطته في هذا العهد لهم عليه حقوق، دعاءً بالخير ومحبةً

وحقوق المشيخة من السمع والاتباع فيما يرضي الله تعالى فوجب الوفاء بذلك الأمر وذلك النذر، وأما إذا أخذ هذا العهد ثم تركه أو انقطع عن الذكر فليستعد للمصائب، أكرمكم الله، فتدركه المصائب في الدنيا وفي الآخرة، وأولها في بدنه وماله وولده وأخطرها في دينه، عافنا الله وإياكم من ذلك، فيسلب ذلك الذوق وذلك النهج الذي كان عليه، فبعد أن كان متوجها بتمام التوجه وناشطا فإنه يصير أبرد من لوح الثلج، فيكون قد سلب التوفيق، نعوذ بالله تعالى من ذلك، فهذا هو العقاب، لأن الطريقة سفينة النجاة، من ركبها نجا، فهي سفينة سيدنا نوح عليه السلام، فمن أخذ هذه الطريقة فإنه يستغفر ربه في كل يوم ويصلي على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كل يوم ويوحد ربه بقوله لا إله إلا الله في كل يوم، محافظا على شروط صلاته، وخاصة الصلاة في جماعة، فأين تجد مثل هذا، وغيرك يقضون الأعمار الطوال دون أن يذكروا ما تذكره أنت من "**لا إله إلا الله**" في يوم واحد، ومع هذا كله يكون المدد والكرامات والألطاف والتأييد والأنس، فهذا أمر عظيم، فمن فرط فيها فقد فرط في كل شيء، فليس ثمة ربح أعلى من الطريقة التجانية، فكل خيرات المولى سبحانه وتعالى موجودة فيها مجملة و"مفصّلة"، فلم يخرج منها من الخير ولو مقدار شعرة بل كله مجموع فيها، ففيها المحافظة على الصلوات بطهارة صحيحة وصلاة صحيحة وفيها القوة في الجماعة وفيها العكوف على قراءة القرآن والحديث الشريف وفيها مداومة الذكر والمحافظة على أحسن الأخلاق من صلة الأرحام والإطعام وبر الوالدين وفيها كل خير، فليحذر الإنسان من هذا الأمر، وخاصة إن كان فقيرا لا نراه مدة طويلة من الزمن لا يأتي إلى الزاوية ولا يحضر جلسات الفقراء،

فكأنه أصبح يعيش وحده في أرض فلاة، وهذا من الخطر، فعلينا أن نسأل عنه وعليه أن يسأل عنا، وخاصة لمن كان له عمل حر، فما يمنعه من المجيئ للزاوية على الأقل يومين في الأسبوع ويوم الجمعة وأيام العطل، فهذا من التقصير، وانظر إلى ما قاله الشيخ رضي الله عنه وما قاله رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عن الجماعة في الطريقة، الجماعة شرط من شروط صحة الدخول في الطريق، فهذه الأولى، ولو عرف أكابر العارفين فضل الوظيفة لأتوها ولو حبوا، وهذه الثانية، والثالثة: لو عرفوا فضل الزاوية لضربوا عليها الخيام، فيبني أحدهم خيمة يقضي فيها ما تبقى من عمره لكي لا يضيع وظيفة واحدة، فلو ذكر الإنسان الوظيفة مرة واحدة، فهذا هو الربح الحقيقي وأما غيره فإن الدنيا سائرة بطبعها، فعلى الإنسان أن يكون واعيا لأنه لن يحمل معه إلا صالح أعماله والأعمار بيد الله سبحانه وتعالى، ولا يغرنّه صغر سِنِّه، بل يجتهد بأن يكون عادلا بين دنياه وآخرته فلا ينحاز لدنياه، فيعطي قليلا لدنياه وقليلا لآخرته وقليلا لأحبابه وإخوته، ((**إِنّ لِرَبِّكُمْ في أيّامِ دَهْرِكُمْ نَفحاتٍ فَتَعَرَّضُوا لها لَعَلَّهُ أنْ يُصِيبَكُمْ نَفْحَةٌ مِنْها فلا تَشْقَوْنَ بعدها أبداً**))[52]، وعلى كل فالحمد لله على أن جميع الفقراء بخير وعلى خير ولكن نذكّر بعضنا البعض، وعلى الإنسان أن يقرأ الكتب، فمن ترك قراءة كتاب الله أو كلام رسوله أربعين يوما قسا قلبه، فيصير كالحجارة، ويخاف على نفسه، فإن لم يقرأ فكيف سيحيا قلبه؟، بالرياضة؟!، وعلى كل حال ففقير الشيخ قلبه دائما مفتوح فيسمع ويتحدث ويسأل وينفع وينتفع، ويكون مهتما بأمر المسلمين، ومن جملة المسلمين هو نفسه، فلا يظن

---

52 الطبراني في المعجم الكبير عن محمّد بن مسلمة.

أنه إن لم يفعل منكرا فذلك يكفيه، لا يكفيه، فالله هو الذي وفقه فليحمد الله على ذلك، ولكن لا يكتفي بذلك.

ومن جملته أن النبي صلّى الله عليه وسلّم زار الشيخ رضي الله عنه يقظة وقال له: أنا شيخك ومربيك وكافلك فلا منة لمخلوق عليك[53]، وأمره أن يأخذ هذه الطريقة سهلة دون رياضة ولا خلوة ولا تعب، فكان عليه أن يتقنها ويربّح بها المسلمين في هذا الزمان لأن فيها روح الدين، روح الإسلام، روح الإيمان، فكل الخيرات مغمورة في وسطها، فكل من أخذها بقوة وبنية صالحة فمآله المعرفة بالله تعالى والتي ما بلغها أكابر الأكابر من الأولياء الذين سبقوا إلا بأن أفنوا أعمارهم ليبلغوها، ثم يأتي فقير مثلك أو مثلي فيدخل هذه الطريقة فيجعله المولى سبحانه وتعالى بفضله وحكمته في الصف الأول، فيموت الإنسان وهو من أكابر أولياء الله تعالى، فيقول حينها الأقطاب الذين سبقونا: ربنا ما أعطيتنا شيئا أمام التجاني وأصحابه. فعلى الإنسان أن يعرف كيف ولماذا هذا الفضل ثم يحافظ عليه، وذلك لأن الله تعالى أعطانا التوحيد الخاص، وهو الإخلاص، فحينما دخلنا الطريقة وضع الشيخ رضي الله عنه في قلوبنا أننا لا نرى إلا الله تعالى، والحمد لله على كل هذا.

وأما بخصوص الحديث عن البركة فهي تظهر في حركات وسلوكيات الناس، وليس بشرطه أن تظهر حالاّ وفورا بل ربما تظهر بعد حين على الإنسان الذي تقبّل ذلك الأمر، فليست البركة كما يتصورها الناس، وإنما هي تكاثر الخير، وبطرف خفي ويد غير مرئية للعيان يجدها ولا يعلم كيف حصلت.

---

[53] راجع الإفادة الأحمدية

وأما بخصوص المعروف فقد كان سيدي الحاج القماري رضي الله عنه في آخر سنوات عمره يتحدث عن الحاج سالم رحمه الله تعالى فيقول: "**عمري لا أنسى أن الحاج سالم كان يوصلني من منطقة باب سويقة إلى الزاوية في باب الخضراء**" ا.هـ مع أنها مسافة بسيطة والرجل كان يشتغل على سيارة أجرة ويتقاضى ثمن أجرته لإيصال الشيخ للزاوية ولكن أهل المعروف لا ينسون من أدَّى إليهم معروفا ولو كان بسيطا، وهذه من أوصاف المولى سبحانه وتعالى، فهو سبحانه كريم جواد، لو تكرمت بفعل خير ولو بسيط فإنه يكرمك به، ونحن يجب أن نتشبه بهذه الأوصاف، فمن صنع لنا معروفا مرة واحدة وكان معه ألف صنيع سوء، فإننا لا نرى ذلك السوء كله بل نرى فقط صنيع المعروف الذي أتاه فقد ورد في الحديث الشريف ((**غُفِرَ لامرأةٍ مُومِسَةٍ مَرَّتْ بِكَلْبٍ عَلَى رَأْسِ رَكْيٍ يَلْهَثُ كَادَ يَقْتُلُهُ العَطَشُ فَنَزَعَتْ خُفَّهَا فَأَوْثَقَتْهُ بِخِمَارِهَا فَنَزَعَتْ لَهُ مِنَ المَاءِ فَغُفِرَ لَهَا بِذَلِكَ**))[54]، فلأجل تلك الرحمة التي تحركت حينها فبها غفر الله تعالى لها، فذلك البياض الذي نتج عن تلك الرحمة في قلبها قد محى كل السواد المتبقي فلم يعد له وجود، فقبلها الله تبارك وتعالى لأجل أمر بسيط، فليتنبه الإنسان لمثل هذه الأمور، وكقصة الإمام الغزالي تقريبا غفر له لأجل ذبابة شربت من محبرته فتركها تكمّل شربها فغفر الله له.

والعبد الضعيف مثلا كذلك لا يجب عليّ أن أنسى أن فقيرا اسمه محمّد رأفت هو الذي حدثني عن سيدي محمّد القماري وأوصلني إليه مباشرة، هذا ما لا أنساه إن شاء الله أبدا، فقد كان سببا، وعليّ أن أراعي دائما ذلك السبب.

---

[54] تخريج السيوطي في الجامع الصغير البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وقد قال صلّى الله عليه وسلّم: ((**إنَّ اللهَ تعالى جعل للمعروفِ وُجُوهًا من خَلْقِهِ، حَبَّبَ إليهِمُ المعروفَ وحَبَّبَ إليهِم فِعَالَهُ، ووَجَّهَ طُلَّابَ المعروفِ إليهِم، ويَسَّرَ عليهِم إعطاءَه، كما يَسَّرَ الغَيْثَ إلى الأرضِ الجَدْبَةَ لِيُحْيِيَهَا ويُحْيِيَ به أهلَها، وإنَّ اللهَ تعالى جعل للمعروفِ أعداءً من خَلْقِهِ، بَغَّضَ إليهِمُ المعروفَ. وبَغَّضَ إليهِم فِعَالَهُ، وحَظَرَ إليهِم إعطاءَه، كما يَحْظُرُ الغيثَ عن الأرضِ الجَدْبَةِ، لِيُهْلِكَها ويُهْلِكَ بها أهلَها، وما يَعْفُو أَكْثَرُ**))[55] فنجتهد أن نكون من أهل المعروف، فلسنا من الأنبياء ولكننا نجتهد عسى أن تصيبنا نفحة من الله تعالى، لقوله صلّى الله عليه وسلّم: ((**إن لربكم في أيام دهركم نفحات فتعرضوا لها لعله أن يصيبكم نفحة منها فلا تشقون بعدها أبدا**)). وأعظم وأكبر المعروف إطلاقا هو الوفاء بالعهود، فإذا ما صدرت من الإنسان كلمة فيقول ثم يفعل ولا يتراجع أبدا، كأن وعد بأن يفعل شيئا فليفعله ولو الموت دون ذلك الأمر، فالدين أمر عظيم وأعظمه الصلوات في الجماعة والمحافظة على الأذكار والوظيفة والورد مهما كانت الظروف.

تم بحمد الله تعالى.

---

[55] السيوطي في الجامع الصغير: ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

الدرس الثامن: الإسراء والمعرج

تونس في 26 رجب 1438هـ الموافق لـ 23 أفريل 2017م

البيان: بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمّد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

نحن الآن في شهر رجب وهو شهر عظيم من الأشهر الحرم، لقوله صلّى الله عليه وسلّم (**السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ثَلاثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ ذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمُ وَرَجَبُ مُضَرَ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ**)[56].

السارد: قال الشيخ يوسف إسماعيل النبهاني في كتابه صحيح سيرة النبي أو الأنوار المحمّدية وهو مختصر من كتاب المواهب اللدنية للقسطلاني في الباب الخامس: في تخصيصه عليه الصلاة والسلام بخصائص المعراج والإسراء وتعميمه بعموم لطائف التكريم في حضرة التقريب بالمكالمة والمشاهدة الكبرى: اعلم أن

---

[56] عَنْ أَبِي بَكْرَةَ - رضي الله عنه - عَنِ النَّبِيِّ - صلّى الله عليه وسلّم - قَالَ» :**الزَّمَانُ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ثَلاثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ ذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمُ وَرَجَبُ مُضَرَ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ**). البخاري

قصة الإسراء والمعراج من أشهر المعجزات وأظهر البراهين البينات وأقوى الحجج المحكمات وأصدق الأنباء وأعظم الآيات. والحق أنه إسراء واحد بروحه وجسده يقظة في القصة كلها وإلى هذا ذهب الجمهور[57] من علماء المحدثين والفقهاء والمتكلمين

البيان: اعلم أن جميع المحققين على هذا القول وهو أنه صلّى الله عليه وسلّم قد أسري به جسدًا وروحًا، وهناك من يقول أن الإسراء وقع بروحه فقط ولكن المقصود أنه قد أسري به صلّى الله عليه وسلّم بجسده وروحه على طريق خرق العادات لا غير ...

السارد: وتواردت عليه ظواهر الأخبار الصحيحة ولا ينبغي العدول عنه

البيان: إذا قرأ الإنسان كما ينبغي السيرة النبوية كسيرة ابن هشام وغيره وكهذا الكتاب وهو الأنوار المحمّدية للنبهاني وهو مختصر لكتاب عظيم في السيرة

---

[57] الإجماع: هو اتفاق جميع المجتهدين من المسلمين في عصر من العصور بعد وفاة الرسول - صلّى الله عليه وسلّم - على حكم شرعي في واقعة. - علم أصول الفقه لعبد الوهاب خلاف

التَّرْجِيحُ: هُوَ إثباتُ غَلَبَةِ أَحَدِ الدَّليلينِ عَلَى الآخَرِ سَوَاءً كَانَا الدَّلِيلاَنِ نَقْلِيَّيْنِ أَوْ عَقْلِيَّيْنِ أَوْ أَحَدُهَما نَقْلِي وَالآخَرُ عَقْلِي كنصٍّ وقِياسٍ، ويُسمَّى الأوَّل راجحاً والثّاني مَرجوحاً. وتختلف القوَّة المُرجِّحَة لِدلِيلٍ على غيرِهِ، فتارَةً مِن جهة الثُّبوت كترجيح المتواتر على الآحاد، وتارة من جهة نوع الدَّليل كترجيح القرآن على السُّنَّة، وتارة مِن جهة الدَّلالَةِ كترجيح القول على الفِعلِ وغير ذلك مِن المُرجِّحاتِ.

الجمهور: يطلق على الأكثرية في الفقهاء مصطلح الجمهور، فحين نقول في مسألة ما قال الشافعية قولاً ما، ثم نقول علي أثر هذا القول وقال الجمهور، فالمراد في هذا إن الأئمة الأربعة، عدا الشافعية، وحين نقول قال الأحناف، وبعدها نقول وقال الجمهور فالمراد هنا الأئمة الثلاثة، عدا الحنفية

وهو كتاب المواهب اللدنية بالمنح المحمّدية للقسطلاني، إذا قرأ الإنسان هذه الكتب الصحاح في السيرة فلن يؤثّر فيه ما يسمعه الناس من القنوات التلفزيونية والذي يعود عليهم بالضرر، فقد يفسد عليهم اعتقاداتهم دون أن يشعروا لأنهم سينفون عددًا كبيرًا من الأمور الصحيحة قطعًا، وإذا نفاها الناس أو شكّوا فيها أو لم يعتقدوا فيها فإن ذلك يمس اتصالهم برسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فينفون الوسيلة، ولا يصدقون **أَنَّ عمرَ بنَ الخطابِ رضيَ اللهُ عنهُ كانَ إذَا قَحَطُوا استسْقَى بالعبّاسِ بنِ عبدِ المطلبِ. فقالَ: اللهمَّ إنَّا كنَّا نَتَوَسَّلُ إليكَ بنبيِّنَا فَتَسْقِيَنَا، وإنا نَتَوَسَّلُ إليكَ بعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا، قالَ فَيُسْقَونَ**[58]. ولذا علينا أن نقرأ ما كُتِب في كتب السيرة الصحيحة وذلك كي نحصّن دائمًا أنفسنا وأولادنا وكل من كان حولنا مما ينفي هذه الأمور الأصلية الواجبة في الدين فإذا نفيتها انقطع حبل الدين الذي يربط بين الناس وبين نبيّهم ومحبة نبيّهم ومحبة آل بيت نبيّهم ومحبة أولياء هذه الأمة وعلماءها إلى آخر ذلك، فهذه الأخبار تفيد بأنه قد أسري به صلّى الله عليه وسلّم بجسده وروحه، فهذه مسألة مهمة وهي من المعرفة فلا يظن الإنسان أنها بسيطة فيقول إن فيها أقوالا فهناك من يقول بالإسراء روحا فقط وهناك من يقول أن الإسراء وقع بالروح والجسد، لا، فإنها مسألة رسمية واعتقادها فقط هو من المعرفة بالله تعالى

فقير: أين وجه الإعجاز لو أسري بروح سيدنا محمّد فقط؟

البيان: كله جائز ولكن المحققين العلماء الربانيين أصحاب العلم مع الكشف قالوا إنه صلّى الله عليه وسلّم قد أسري به جسدا وروحا، وفي الحقيقة فإن

---

[58] الراوي: أنس بن مالك | المصدر: صحيح البخاري

روحه صلّى الله عليه وسلّم محتوية على كل شيء، فلا إعجاز مع الله سبحانه وتعالى ولا مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ولكن الأمر إن كان محققا فلابد من اعتقاده، لأن الاعتقاد في الأمر المحقق الصحيح تنتج عنه فهوم والاعتقاد المختلف فيه تنتج عنه فهوم مختلفة فتزيغ بالإنسان قليلا فقليلا حتى تبعد به عن الحق، ولذا فعلينا كمسلمين أن نتمسك بديننا الصحيح الأصلي وفي الشيوخ الذين يعلمون هذا الدين الأصلي، لأن الفرق الوقتية كثيرة، وهذا ما يجب علينا جميعا أن نفهمه في هذه المرحلة من النضج والتي بلغناها مع بعضنا البعض، فقد تجد مثلا الناس في صلاة الجماعة، ثم يأتي بعضهم على غير وضوء وربما يكون أكرمكم الله على جنابة، فيمسح على حائط المسجد ويتيمم ويصلي، فمن أين أتى بمثل هذه البدعة؟ هل المقصود بها ضرب الدين؟ ولكن الدين لا يُضرب، فهذا الذي يتيمم على الحائط، ألا يعلم أن الحائط مغطى ومدهون بمواد كيميائية وليس حائطا طبيعيا من الحجر؟!.

ونحن ولله الحمد في هذه المدة نتدارس الفقه إن شاء الله تعالى العام على أخيه، ومع نهاية هذا العام نكون قد أنهينا دَورة أولى في الفقه، وفي كل عامٍ من أوله إلى آخره نكون قد أتممنا تدارس الفقه المالكي كاملاً، فتمسكوا بهذا الأمر جيدا واسألوا في كل المجالس أسئلة فقهية، وجهزوا أنفسكم كما ينبغي للإجابة، ومن أمكنه أن يجهز كلمات علمية فليفعل بمناسبة ومن غير مناسبة، فهذا هو شأن العلماء وشأن من يدرس العلم ويتعلم، فشأنه أن يكون دائم الجاهزية في كل المجالس، فيلقي كلمة علمية على إخوانه.

فعرفنا بالتالي أن التيمم لا يكون إلا على الصعيد الطيب الطاهر الذي بقي على خلقته لم يتغير بنار ولا بمواد كيميائية، فالذي يتيمم على حائط فقد أتى ببدعة شنيعة، ولماذا يقبلها الناس ويقبلون عليها؟ لأنهم لم يتعلموا بل ويشتغلون بأمور لا تنفعنا، فهذه بدعة شنيعة لأنه أولا لا يصح التيمم على مثل هذه الحيطان، ثم إن الماء موجود فلا حق له في التيمم، بل يتوضأ ويصلي ولا يعتذر بفضيلة إدراك الجماعة.

وهناك أيضا مسألة المسح على الجورب، ويكون الجورب أكرمكم الله غير طاهر، يمشي به شطره في الحذاء وشطره في الطريق الغير مأمون الطهارة، فوضوءه باطل وصلاته باطلة، فهذه أيضا بدعة شنيعة، ولكننا نراها تقريبا في كل يوم، مع صاحبك مع ابن عمك وربما شقيقك أو ولدك، فلا تجد ما تقول في هذا الباب، يمسح على جوارب، ثم يحدثك عن المسح على الجوارب والمسح على الجبيرة والمسح على الخفين، في حين أنه لم يفهم معنى وشروط الخفين ولا الجبيرة ولا أي شيء من هذا، فلماذا أصبح هذا الأمر شائعا؟، الجواب هو من قلة العلم لا غير، وإذا ما تعلمنا شيئا فإننا نقف عنده ظانين أننا وصلنا، ولكن في الواقع لما لاقانا الله تعالى بشيوخ عظام كسيدي محمّد القمار وسيدي محمّد الكبير وشيخ الوجود سيدي أحمد التجاني رضي الله عنه وأرضاه، فعلى كل واحد منا أن يكون عالما علاّمة في الاعتقادات وفي الأمور الشرعية، فعلى الإنسان ألا يكتفي من العلم عوض الجري وراء الأرزاق والمال وإن كانت محمودة فلا يجب أن تأخذ منا اليوم والليلة، فلابد أن نتعلم، وهذا الكتاب الذي بين أيدينا هو "الأنوار المحمّدية" للنبهاني جازاه الله كل خير أخذه مختصرا عن كتاب

"المواهب الدنية" للقسطلاني، وهو كتاب عظيم في السنة، وقد كان سيدي محمّد القماري رضي الله عنه يحب هذا الكتاب كثيرا ويداوم على قراءته وقد وجد فيه عديد المسائل التي ظل مدة طويلة من الزمن وهو يبحث عنها فكان رضي الله عنه يفرح كلما لقي فيه مسألة من هذه المسائل، وقد جعل النبهاني في هذا المختصر زبدة الكلام من الكتاب الكبير المتحدث عن كل شاذة وفاذة من شمائل الرسول صلّى الله عليه وسلّم، فلابد علينا جميعا أن نقرأه مع مواصلة تدارس الفقه المالكي بشكل دائم

السارد: ولا ينبغي العدول عنه والإسراء بالجسم إلى تلك الحضرات العلية لم يكن لأحد سواه من الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام.

البيان: فقد صلى بجميع الأنبياء إمامًا، حقيقةً لا خيالاً، صلّى الله عليه وسلّم

السارد: والمعاريج ليلة الإسراء عشرة سبعة إلى السماوات والثامن إلى سدرة المنتهى والتاسع إلى المستوى الذي سمع فيه صلّى الله عليه وسلّم صريف الأقلام في تصاريف الأقدار والعاشر إلى العرش والرَّفْرَفُ[59] والرؤية وسماع الخطاب بالمكافحة[60] والكشف الحقيقي. والمكافحة هي المعاينة بأم العين.

---

[59] الرَّفْرَفُ: لغةً ما يجعل في أطراف البيت من الخارج يُوَقَّى به من حَرّ الشمس. وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَابْنُ عَبَّاسٍ أَيْضًا: الرَّفْرَفُ رِيَاضُ الْجَنَّةِ، وَاشْتِقَاقُ الرفرف مِنْ رَفَّ يَرِفُّ إِذَا ارْتَفَعَ، وَمِنْهُ رَفْرَفَةُ الطَّائِرِ لِتَحْرِيكِهِ جَنَاحَيْهِ فِي الْهَوَاءِ. – تفسير القرطبي

[60] كَفَحَ غيره: وَاجَهَهُ وَجْهاً لِوَجْهٍ. والمكافحة المعاينة والمخاطبة. راجع بالمكافحة: المخاطبة - شرح العلامة الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمّدية 1-12 ج8

البيان: المراد بالمكافحة أن ذلك وقع له معاينةً صلّى الله عليه وسلّم، فكلمه ربه سبحانه وتعالى، لذلك قال صلّى الله عليه وسلّم: رأيت ربي بعيني رأسي، وإن الله سبحانه وتعالى كشف له ما كشف ﴿**ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى**﴾[61]، في ذلك الوقت، ولكنه صلّى الله عليه وسلّم كتمه عن البعض وأخبر به البعض، كأمنا عائشة حين سألته: أرأيت ربك، فقال: لا، معناه لا ينبغي لك أن تسألي مثل هذا السؤال ولا تطيقي الجواب... ولكنه في ذلك الوقت وصل إلى نهاية الوصول صلّى الله عليه وسلّم

السارد: وقد ورد حديث الإسراء عن كثير من الصحابة عدّ منهم في الأصل ستة وعشرين ثم قال وبالجملة فحديث الإسراء أجمع عليه المسلمون وأعرض عنه الزنادقة الملحدون

البيان: يعني أنه في الكتاب الأصلي غير المختصر عدّ صاحبه القسطلاني ستة وعشرين صحابيا رووا قصة الإسراء والمعراج، ولم يترك في كتابه ذاك لا شاذة ولا فاذة من السيرة ولا الشمائل النبوية إلا ورواها بالتفصيل

السارد: ﴿**يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**﴾ [(8) سورة الصف]

البيان: هذا ما أردنا قوله، والحمد لله تعالى أنه ذكرها، يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ بتكسير اعتقادات المسلمين في دينهم وفي نبيهم وفي معجزاته، وفي السيرة الأصلية، فيدخلون فيها ما ليس منها، على حسب عقولهم، أو على حسب زندقة كفرهم، ولهذا فقد وجب علينا نحن أن نقرأ السيرة كما هي وكما

---

[61] (8) سورة النجم.

أخذناها عن الشيوخ رضي الله عنهم ووجب علينا كذلك أن نعتقدها ونفهمها وندرّسها لغيرنا، فما أعرض عن السيرة الصحيحة وخاصة قصة الإسراء والمعراج إلا من لم يفهم الحقائق، لقوله: وبالجملة فحديث الإسراء أجمع عليه المسلمون وأعرض عنه الزنادقة الملحدون، وهم الذين ينوون بهذا الدين شرا، نعوذ بالله تعالى من ذلك

السارد: وقد روى البخاري عن قتادة عن أنس بن مالك بن صعصعة أن نبي الله صلّى الله عليه وسلّم حدثهم عن ليلة أسرى به فقال بينما أنا نائم في الحطيم وربما قال في الحجر مضطجعا إذ أتاني آت فشق ما بين هذه إلى هذه أي من ثغرة نحره إلى شعرته فاستخرج قلبي ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة إيمانًا فغسل ثم حشي ثم أعيد

البيان: حادثة شق صدره الشريف صلّى الله عليه وسلّم لم تقع مرة واحدة في صغره بل تكررت مرتين أو ثلاثا، وهذه واحدة منهن وقعت له صلّى الله عليه وسلّم ليلة الإسراء، فشُقّ صدره وأُخرج قلبه ومُلئ حكمة، وهو أمر مهم لابد من الاطلاع عليه

السارد: وفي رواية له ففرجَ صدري ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانا فأفرغه في صدري ثم أطبقه ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض قال أنسٌ هو البُراق يضع خطوة عند أقصى طرفه فحملت عليه فانطلق بي جبريل حتى أتى السماء الدنيا وساق البخاري الحديث بطوله وسيأتي سرده بعد ذكر صلاة النبي صلّى الله عليه وسلّم بالأنبياء في بيت المقدس ووصف المعراج الذي أتي به إليه صلّى الله عليه وسلّم فصعد

منه إلى السماء. وأخرج الترمذي عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أتى بالبراق ليلة أسرى به مسرجا ملجما فاستصعب عليه فقال له جبريل عليه السلام ما حملك على هذا وفي رواية أما تستحي؟ ما ركبك خلق قط أكرم على الله منه فارفضّ[62] عرقًا

البيان: المراد منه أن جبريل هدّأ من روعه بقوله له سيركبك سيد الأولين والآخرين صلّى الله عليه وسلّم

السارد: وفي حديث ابن مسعود: إذا أتى على جبل ارتفعت رجلاه وإذا هبط ارتفعت يداه وفى رواية لابن سعد: له جناحان وعن ابن عباس في صفته له خد كخد الإنسان وعُرْفٍ كَعُرف[63] الفرس وقوائم كالإبل وأظلاف وذنب كالبقر وكان صدره ياقوتة حمراء، وكان الذي أمسك بركابه صلّى الله عليه وسلّم جبريل وبزمامه ميكائيل رواه ابن سعد وقد روى البيهقي وغيره عن شداد بن أوس أنه أول ما أسرى به صلّى الله عليه وسلّم مر بأرض ذات نخل فقال له جبريل انزل فصلِّ فصلّى فقال صليتَ بيثرب ثم مر بأرض بيضاء فقال انزل فصلِّ فصلى فقال صليتَ بمدين ثم مر ببيت لحم فقال انزل فصل فنزل فصلى فقال صليتَ حيث ولد عيسى.

البيان: وهذه مسألة عظيمة في ذكر الأماكن التي زارها صلّى الله عليه وسلّم مع كل ما أراه الله تعالى وما كشفه له، ولذلك فإن هؤلاء السادات أمثال البخاري ومسلم تحروا كل التحري في رواية هذه الأحاديث النبوية، فلا يأتي

---

[62] ارفضَّ الدَّمْعُ أو العرَقُ أو نحوُهما ترشَّش وسال متتابعًا.

[63] العُرْفُ شعْرُ عُنُقِ الفَرس.

اليوم بعضهم ويصحح بعض ما صححه البخاري ويترك البعض، فهذه هي المعركة الحقيقية في هذا الزمان، ولهذا أقول وأكرر: علينا أن نقرأ الكتب الصحاح والشيوخ الواصلين، فالعلم لا يكون إلا بكتب صحاح وشيخ وضّاح، وعارف بالله يقابله مباشرة، فهذا أكثر ما يحتاجه الإنسان اليوم لكيلا تختلط عليه السبل فيضيع، نعوذ بالله من ذلك، فتنبهوا جيدا لهذه المسائل

السارد: وروى البيهقي عن أنس لما جاء جبريل عليه السلام بالبراق إليه صلّى الله عليه وسلّم فكأنما أصرت أذنيها فقال لها جبريل مه يا براق فوالله ما ركبك مثله فسار رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فإذا هو بعجوز على جنب الطريق فقال ما هذا يا جبريل قال سر يا محمّد فسار ما شاء الله أن يسير فإذا هو بشيخ يدعوه متنحيا عن الطريق يقول هلم يا محمّد فقال له جبريل سر وأنه مر بجماعة فسلموا عليه فقالوا السلام عليك يا أول، السلام عليك يا آخر، السلام عليك يا حاشر، فقال له جبريل اردد عليهم السلام فرد، ثم قال له جبريل أما العجوز التي رأيت جانب الطريق فلم يبق من الدنيا إلا ما بقي من عمر تلك العجوز

البيان: ولهذا قال سيدي الحاج الأحسن رضي الله عنه في كتابة "إلجام الجهّال بأسنّة ألسنة الكمّال": **فعمر الدنيا من آدم الصفي جمعة من جمع الآخرة وهي سبعة أيام من أيام الآخرة في كل يوم خمسون ألف سنة من سنوات الدنيا في خيط الاستواء كمكّة وبه صحّ الحديث والقرآن ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خمسين أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾** [السجدة 5]**، فالمجموع من آدم قبل رسولنا صلّى الله عليه وسلّم ثلاثمائة ألف سنة في مدّة ستّة أيام واليوم السابع الشارب سرّ**

ما قبله وعلمه ونوره وطرائقه فبهداهم اقتده لا بهم لكن في الأخلاق فقط هو خمسون ألف سنة من سنوات خيط الاستواء كمكّة مثلا ﴿لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء 83] **فالاستنباط علم لا ظن فقد استنبطنا من الحديث امتداد زمن هذه الأمة مدّة خمسين ألف سنة وقال صلّى الله عليه وسلّم "إذا عملت أمّتي بالكتاب والسنة فلهم يوم وإلا فلهم نصف يوم" فاليوم هو خمسون ألف سنة وقد عملت هذه الأمة وتعمل بالكتاب والسنة وهو مقبول قطعا مستفادا من القرائن والنصوص... وإذا علمت أن الأمة مقبولة علمت من الحديث مدّتها وهي خمسون ألف سنة كلّها مستقيمة على سنن الاعتدال ﴿جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾** [البقرة 143] ".

فالحاصل أن **عمر الدنيا سبعة أيام من أيام الآخرة** [الديلمي في مسنده] **وأيام الآخرة ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خمسين أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾** [السجدة 5] **استنبط منه رضي الله عنه أن عمر الدنيا ثلاث مائة وخمسين سنة وأن عمر أمته يوم واحد إذا عملت بالكتاب والسنة فتحصل أن عمر أمته هو خمسون ألف سنة منذ بعثته صلّى الله عليه وسلّم.**

فيبقى من عمر هذه الدنيا خمسون ألف سنة من بعثته صلّى الله عليه وسلّم. فرضي الله تعالى عن سيدي أحمد التجاني وخلفائه آمين.

فافرحوا لأنه قد لاقاكم الله سبحانه مع أعظم الأقطاب، فلابد عليكم من الحركة وأنا أوّلكم، وانشطوا وزيدوا في النشاط حتى لا يبقي الأمر مقتصرا على شخص واحد يقرأ والآخر بيده مكبر الصوت، فنحن ما زلنا لم نتعلم حتى أبسط الآداب كآداب الجلوس مثلا، فها أن ثلاث أشخاص من بيننا كلما دخل واحد

منهم إلا وجلس في الممر المخصص للدخول والخروج، وصاحب البيت ينبههم لذلك، واحدا تلو الآخر، وهذا لا يجوز، ومن هذه النقطة ندرك أي مستوى نحن فيه، كما أنه ليس من المقبول أن نجهِّز معدات الصوت في أثناء جلستنا، بل يجب أن يكون ذلك قبل وصول الفقراء، فمازلنا نحتاج إلى مزيد التدريب على تحمل المسؤولية، فعلينا جميعا بالاجتهاد والتيقظ، فهذه الليلة هي ذكرى الإسراء والمعراج، فلا يجب أن نفكر في النوم والنعاس مطلقا، ثم مَن ألهم صاحب هذا البيت أن يجمعنا في هذه الليلة بالذات؟، إنما ألهمه الله تعالى وألهمه النبي صلّى الله عليه وسلّم أن يجمعنا ويولم لنا هذه الوليمة ويفرح بنا هذا الفرح، فهذه ليلة عظيمة أن وفقنا الله تعالى إليها، حتى نجتمع نساءً ورجالاً فنتدارس وندعو للأمة ونقرأ قرآنا يُسْرَج ويكتب في جميع الصحف إلى يوم القيامة لا ينتهي ونمدح النبي صلّى الله عليه وسلّم، بل ونجلب معنا أطفالا وندفعهم إلى الجلوس معنا حتى يستمعوا، فهذا أمر عظيم، فكونوا واعين بأهمية الأمر ولا أعتقد أن الإنسان يمكن أن ينام في مثل هذه الليلة.

السارد: ثم قال له جبريل أما العجوز التي رأيت جانب الطريق فلم يبق من الدنيا إلا ما بقي من عمر تلك العجوز والذي دعاك إبليس

البيان: لعنة الله عليه

السارد: والعجوز الدنيا أما لو أجبتها لاختارت أمتك الدنيا على الآخرة وأما الذين سلّموا عليك فإبراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام.

البيان: إذًا نستنبط من هذا الكلام النبوي أن أمته صلّى الله عليه وسلّم لا تختار الدنيا بل الآخرة ولو تكالب الناس على الدنيا في أول عمرهم أو وسطه

فلابد أن يتوبوا منها ويرجعوا إلى الآخرة ولا يلاقون ربهم حتى تكون الدنيا قد خرجت من قلوبهم ولا يحسبون لها أي حساب كسراب أو أقل، لماذا نتدارس مثل هذه الأمور؟ حتى إذا ما فتح الله على واحد منكم وعاين مثل هذه الأمور، فلا يفقد وعيه، وربما يأتينا بعلم جديد، فعلم الكشف الصحيح لا يخالف النص الصريح، والطريقة التجانية كلها بحور الأسرار، ولا توجد أي طريقة كهذه الطريقة في الأسرار، أعني الأسرار الحقيقية الربانية لا الأسرار الكونية، وإذا ما أكرم الله تعالى واحدا من بيننا بشيءٍ مّا فلا تتداخل عليه الأمور، ويكون قد علم بكل ما صار معه صلّى الله عليه وسلّم ليلة الإسراء، فيبقى ثابتا صامتا ساكنا، ولهذا وجب علينا أن نقرأ النص الصريح، وهذه هي النصوص الصريحة فلا يخالفها كشف بل كل كشف وكل سر يخالف هذه النصوص نرمي به عرض الحائط ولا نهتبل ولا نكون خفيفي العقل ولا نعمل به أبدا

السارد: وفي رواية أنه مر بموسى عليه الصلاة والسلام وهو يصلي في قبره فقال أشهد أنك رسول الله ولا مانع أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يصلون في قبورهم لأنهم أحياء عند ربهم يرزقون. وفي حديث أبي هريرة عند الطبراني والبزار أنه عليه الصلاة والسلام مر على قوم يزرعون ويحصدون في يوم كلما حصدوا عاد كما كان فقال لجبريل عليه السلام ما هذا قال هؤلاء المجاهدون في سبيل الله تضاعف لهم الحسنة إلى سبعمائة ضعف وما أنفقوا من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين ثم أتى على قوم ترضخ رؤوسهم بالصخر كلما رضخت عادت كما كانت ولا يفتر عنهم من ذلك شيء

البيان: كلما كُسّرت رؤوسهم على الصخر يعذّبون بذلك، ثم ترجع رؤوسهم كما كانت، فتُكسر من جديد، وذلك بسب الدنيا التي رآها صلّى الله عليه وسلّم عجوزا قبيحة المنظر فاحذروا الله منها، ونسأل الله تعالى أن يحفظنا منها، واحذروها جدا جدا جدا فإنها لا تساوي شيئا، فلا يبقى إلا مثل هذه الجلسات التي حظرنا، والصلوات التي صلينا، والأذكار التي ذكرنا، والخيرات التي فعلنا، والباقي كله لا معنى له أصلا وإنما هو ابتلاء، فإنه إذا ضيعت عليك صلاة أو ذكرا أو فعلا من أفعال الخيرات، فابك على نفسك، فإن الدنيا قد غشّتك، فلا تعطوها أي قيمة، وإنما هي قنطرة عبور جميلة مهمة مفيدة لازمة نعبد بها الله تعالى لمن اتخذها قنطرة عبور إلى الآخرة الدائمة، عجوز قبيحة المنظر لمن ركن إليها

السارد: فقال ما هذا يا جبريل قال هؤلاء الذين تتثاقل رؤوسهم عن الصلاة المكتوبة.

البيان: والعياذ بالله تعالى. يا لطيف الْطف بنا، هؤلاء الذين تتثاقل رؤوسهم عن الصلاة المكتوبة، وخاصة صلاتي العشاء والصبح، فهذه مازالت في أغلبنا، وهي مصيبة عظمى نعاني منها، ولا أعني صاحب العلة الذي عليه أن يجتهد فقط، فما زلنا لم نبرمج عقلنا الباطني على تعديل المنبه أو الهاتف حتى نستيقظ قبل آذان الصبح ونستعد كما ينبغي للصلاة ونصلي ونذكر الله حتى طلوع الشمس، وهذا أكبر وأقوى علم، بقلبه وسره وروحه، وما دمنا لا نستطيع أن نفعل هذا فإننا في نقصان فضيع، فهذا ما يجب أن نهتم به ونتحدث

عنه ونحرك بعضنا البعض وننشّط بعضنا البعض، لا أن نهتم بالخرافات التي لا معنى لها

السارد: ثم أتى على قوم على أقبالهم رقاع وعلى أدبارهم رقاع يسرحون كما تسرح الأنعام يأكلون الضريع[64] والزقّوم[65] ورَضْفَ جهنم[66]

البيان: نعوذ بالله من ذلك، فهم كالأنعام ويقتاتون على أوساخ ونجاسات جهنم

السارد: فقال ما هؤلاء قال هؤلاء الذين لا يؤدّون زكاة أموالهم وما ظلمهم الله وما ربك بظلام للعبيد.

البيان: فانظر رحمك الله حال الذي لا يصلي، ثم حال الذي يكون لديه المال ولا يزكي، والفضيحة أشد من العذاب، ومعهما غضب من الله تبارك وتعالى، فلا يلتفت إليه سبحانه وتعالى ولا ينظر إليه، نعوذ بالله من ذلك

السارد: ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم نضيج في قدر ولحم نيئ في قدر خبيث فجعلوا يأكلون من النيئ الخبيث ويدعون النضيج

البيان: كلّ ما نفعله في الدنيا نجده في الآخرة، ولأجل هذا أوصانا صلّى الله عليه وسلّم، لأنه أكرمه الله تعالى فأراه ما يصير بالناس الذين يخالفون أمر الله في شرعه، ولا يستثنى من هذا أي إنسان، فلا يكذب الإنسان على

---

[64] الضريع: الشوك اليابس أو نبات أحمر منتن الريح يرمي به البحر (شرح العلامة الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمّدية)

[65] الزقّوم: ثمر، شجر كريه الطعم. (المصدر السابق)

[66] رَضْف جهنم: الحجارة المحماة (المصدر السابق)

نفسه ويعتقد أنه مستثنى من هذا الكلام لأنه أخذ الطريقة، فاحذروا من هذه النقطة، فهذا شرع الله تعالى ويطبّق على الناس جميعًا، فإنك لا تعرف ما تحمله الدوائر الإلهية لك أو عليك

السارد: فقال ما هؤلاء يا جبريل قال جبريل هذا الرجل من أمّتك تكون عنده المرأة الحلال الطيب فيأتي امرأة خبيثة فيبيت عندها حتى يصبح والمرأة تقوم من عند زوجها حلالاً طيّبًا فتأتي رجلاً خبيثًا فتَبِيتُ عنده حتى تصبح. ثم أتى على رجل قد جمع حزمة حطب عظيمة لا يستطيع حملها وهو يزيد عليها فقال ما هذا يا جبريل قال هذا الرجل من أمتك تكون عليه أمانات الناس لا يقدر على أدائها وهو يريد أن يحمل عليها. ثم أتى على قوم تقرض ألسنتهم وشفاههم بمقاريض من حديد كلما قرضت عادت كما كانت لا يفتر عنهم من ذلك شيء

البيان: لو قرض الإنسان نفسه بأسنانه فإن ذلك يعذبه أشد العذاب، فما بالك لو جعلت له مقاريض من حديد تقطع بها شفاهه وكلما قطعت رجعت كما كانت لتقطع من جديد بلا هوادة، والمرة الواحدة منها يموت فيها الإنسان مائة مرة، نعوذ بالله تعالى من ذلك، فانظر سبب ذلك في الدنيا

السارد: قال ما هذا يا جبريل قال هؤلاء خطباء الفتنة.

البيان: وخطيب الفتنة هو كل من يجتهد في بث الفتنة والفرقة بين الناس وبين الإخوان وبين المسلمين كمثل إمام الجمعة إذا حث الناس على الفرقة وعلى القتل أو على الفتنة أو البغض بين المسلمين أو حتى بين عامة الناس إلخ فهو من هذا القبيل، فهو ليس داعية إلى الله تعالى وإنما هو داعية إلى جهنم، وهو

ممن يبيعون الكلام للناس، فهو خطيب فتنة وسيعذب بذلك، نعوذ بالله من ذلك

السارد: قال ثم أتى على حجر صغير يخرج منه ثور عظيم فجعل الثور يريد أن يرجع من حيث خرج فلا يستطيع فقال ما هذا يا جبريل قال هذا الرجل يتكلم بالكلمة العظيمة ثم يندم عليها فلا يستطيع أن يردها ثم أتى على واد فوجد فيه ريحا طيبة باردة وريح مسك وسمع صوتا فقال ما هذا يا جبريل قال هذا صوت الجنة تقول رب آتني بما وعدتني فقد كثرت غرفي واستبرقي وحريري وسندسي وعبقري ولؤلؤي ومرجاني وفضتي وذهبي وأكوابي وصحافي وأباريقي ومراكبي وعسلي ومائي ولبني وخمري فآتني بما وعدتني قال لكِ كل مسلم ومسلمة ومؤمن ومؤمنة ومن آمن بي وبرسلي وعمل صالحا ولم يشرك بي شيئا ولم يتخذ من دوني أندادًا ومن خشيني فهو آمن ومن سألني فقد أعطيته ومن أقرضني جازيته ومن توكل علي كفيته إنني أنا الله لا إله إلا أنا لاَ أُخْلِفُ الميعاد قد أفلح المؤمنون وتبارك الله أحسن الخالقين، قالت: قَدْ رَضِيتُ.

البيان: إن المسلم المؤمن من حيث هو إنما يكون في خير عظيم، ولكن لابد أن يخشى الله تعالى، فعليه أن يجعل أقوى تركيزه في البعد عن المحارم، وفي أداء الصلوات، وفي قراءة الأذكار اللازمة، وفي فعل الخيرات، وعلى الدنيا السلام، فهذا ما على المسلم أن يشغل به وقته وفكره وروحه ونظره وحركته وسكونه وليعلم أنه ميت، في يوم ما، فإذا ما أدى هذه الأمور فإنه مسلم مؤمن ناجح ورابح ولله الحمد والمنة والفضل، فإنّ أعبد الناس مَن يكون أبعدهم عن الحرام، حتى يلاقي ربه وهو في أحسن الحلل، عَنِ الْحَسَنِ ، **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ**

رضي الله عنهما، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلّى الله عليه وسلّم:مَنْ يَأْخُذُ مِنْ أُمَّتِي خَمْسَ خِصَالٍ ، فَيَعْمَلُ بِهِنَّ ، أَوْ يُعَلِّمُهُنَّ مَنْ يَعْمَلُ بِهِنَّ ؟ قَالَ : قُلْتُ : أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ ، قَالَ : فَأَخَذَ بِيَدِي فَعَدَّهُنَّ فِيهَا ، ثُمَّ قَالَ : اتَّقِ الْمَحَارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ ، وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ ، وَأَحْسِنْ إِلَى جَارِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا ، وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُسْلِمًا ، وَلاَ تُكْثِرِ الضَّحِكَ ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ.[67] فلا يجعل تركيزه على الدنيا، وهو قوله تعالى: ومن خشيني فهو آمن، فمن يخشى اللهَ؟ ذلك الذي لا يقرب المعاصي، والمراد منه: من لم يخشاني فإنه يخاف على نفسه، مهما كان، فلا ينفعه أي أحد، لا أبًا ولا أمًّا ولا شيخًا ولا أي أحد، فعلى الإنسان أن يجتنب الكبائر وهي ليست بالكثيرة بل بضع أمور لا يقربها كخمرٍ وزِنًا ورِبًا وعقوقِ الوالدين وسحرٍ، وأما الباقي كله فحلال طيب، فالماء مثلا وجميع العصائر حلال والحرمة في مشروب واحد ألا وهو الخمر، وكذلك الماعز والضأن والبقر والإبل كلها حلال والحِرمة في الخنزير فقط، والطيور من دجاج وحمام والعصافير فكلها حلال والاستثناء فقط في الجوارح فربما والله أعلم تكون فيها كراهية أو حرمة وهي ما تسمى ذات المخالب، فليجتهد الإنسان أن يتبع طريق الله ويتبع الناس الذين يخشون الله تعالى ليلا ونهارا، فيكون شغله في كل يوم أن يهرّب ويبعّد ليله ونهاره عن الحرام، والباقي كله حلال، فيفعل الخيرات، ثم يفرح، فكأنه جعل حصالة وجمع فيها دينارا في كل يوم، فمن خاف الله هنّاه الله، لأن هذه الدنيا لا تسوى شيئا وإنما هي هواء في هواء، فتغرّ الصغير والكبير وتغرّ كذلك من له المال، ﴿**يَا**

---

[67] أخرجه أحمد، والترمذي والبيهقي في شعب الإيمان والخرائطي في مكارم الأخلاق

﴿أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ [(5) سورة فاطر]، فهي كالرحى مع الذين سبقونا ومعنا ومع الذين سيأتون من بعدنا، وقد رآها صلّى الله عليه وسلّم كعجوز شمطاء قبيحة المنظر، فمن عانقها تهلكه، ومن فضل الله سبحانه وتعالى علينا أن جعل المصلحة في الحلال وجعل المضرة في الحرام، وكان من الممكن أن يكون الأمر على عكس ما هو عليه، فيكون الحلال صعبا وفيه المضرة ويأمرنا باتباعه فيكون فرضا علينا أن نفعله، ولكن من فضل الله علينا أن جعل جميع ما شرّعه لنا من حلال وحرام تكون فيه مصلحة تعود علينا، وأما هو سبحانه وتعالى فهو غني عن العالمين، وما يجب أن نقف عنده هو الأمر الإلهي من نهي وجزم فهو أخطر من الضرر المادي لأن الإنسان إذا عصى ربه فذلك عين الخطر بغض النظر عن حصول المصلحة من عدمه فهو لا يعتبر شيئا أمام خيانة العهد الشرعي بيننا وبين الله تعالى، فالأمر أصعب من ذلك بكثير، فلا يعتقد الإنسان أن في مثل هذه الأمور يكون الكبير أفضل من الصغير، بل الجميع سواسية، ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ [(32) سورة النجم]، فالحذرَ الحذرَ.

قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ ﴿إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ ﴿فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاء ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ ﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[68]. فهذا معنى الحديث القدسي الذي قرأناه منذ حين: إنني أنا الله لا إله إلا أنا لا أخلف الميعاد قد أفلح المؤمنون وتبارك الله أحسن الخالقين. أي أنه جعل سبحانه وتعالى من بين آية ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ وآية ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ صفات المؤمن الحق أو هي صفات الخلق الحق للمؤمن الحق والتي من عمل بها نجا، فقوله تعالى ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ إنما المراد منه أنه من ليس له خشوع في صلاة فلا صلاة له، فلابد أن يكون في صلاته ولو بعض اللحظات من الحضور ومن الخشوع على الأقل بعض أطراف الصلاة ولول وقتا قصيرا من الصلاة فيه خشوع وانظر قول سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: **والله إن الرجل ليشيب عوارضه في الإسلام لا يأتي الله بصلاة تامة** فقام إليه رجل يسأله فأشار إليه بيده أن اجلس ثم قال عمر رضي الله عنه **اللهم لا يتم ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها ولا رغبتها ولا رهبتها.**[69] وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ فالمقصود باللغو كل الكلام الذي لا فائدة منه فتكون فيه فتنة أو غيبة أو مضيعة للوقت أو غفلة عن الله نعوذ بالله من ذلك، ومثاله: خطباء الفتنة، فقد تحدث عنهم من قبل، وأما قوله ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ فقد جاء ذكر ذلك من قبل حين قال "**ثم أتى على قوم على أقبالهم رقاع وعلى أدبارهم**

---

[68] (من 1 إلى 14) سورة المؤمنون

[69] أخرجه ابن حبان عن يزيد بن نمران المذجحي

رقاع يسرحون كما تسرح الأنعام يأكلون الصريع والزقوم ورضف جهنم فقال صلّى الله عليه وسلّم ما هؤلاء؟ قال جبريل: هؤلاء الذين لا يؤدّون زكاة أموالهم وما ظلمهم الله وما ربك بظلام للعبيد"، وقوله **﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ ﴿إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾** فقد جاء ذكر هذا حين قال: ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم نضيج في قدر ولحم نيئ في قدر خبيث فجعلوا يأكلون من النيئ الخبيث ويدعون النضيج، فقال ما هؤلاء يا جبريل قال جبريل هذا الرجل من أمّتك تكون عنده المرأة الحلال الطيب فيأتي امرأة خبيثة فيبيت عندها حتى يصبح والمرأة تقوم من عند زوجها حلالاً طيّبًا فتأتي رجلاً خبيثًا فتَبِيتُ عنده حتى تصبح.

ولذلك حين قالت الجنة: رب آتني بما وعدتني، قال سبحانه وتعالى: لك كل مسلم ومسلمة ومؤمن ومؤمنة، تكون هذه صفاتهم، **﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ ﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾**، فبشر الله تعالى جنته بهؤلاء الناس، فقالت الجنة: رضيتُ.

تم بحمد الله تعالى.

بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

الدرس التاسع: الضمانات في الطريقة التجانية

تونس في 26 رجب 1438 هـ الموافق لـ 23 أفريل 2017م.

البيان: يتساءل بعض الفقراء عن إنسان أخذ الطريقة، فهل ستصيبه الوسوسة ويصير لديه الخلط في الأذواق لا قدر الله تعالى؟

وهو سؤال وجيه، فنسأل الله أن يجازي السائل بالخير والإحسان. والجواب عن هذا الأمر أن كل ذلك يصير مع الحي ما دام حيّا يعيش في هذه الدنيا، فالضمانات النبوية في الطريقة التجانية هي ضمانات صحيحة وصريحة لا شك فيها ولا اختلاف، ومن بينها ما قاله سيدي الحاج الأحسن البعقيلي رضي الله عنه مما هو معناه أن الفقير التجاني إذا هرب قبض عليه الشيخ من ظهره ومن ثيابه فأرجعه إليها فإذا هرب ثانية قبض عليه من قلبه فأرجعه إليها، وعليه فإن كل من أخذ الطريقة التجانية يطبع عليه بطابع الشيخ رضي الله وبطابع النبي صلّى الله عليه وسلّم، وهو طابع خاص، طابع المحبوبية وطابع القبول وطابع دوام التوبة إلى الله تعالى من كل ذنب، فالنبي معصوم والولي محفوظ، ومن جملة حفظه أنه محفوظ من المعاصي، ولكنه إذا أذنب فإنه محفوظ من عدم التوبة من المعاصي، لأنه يكون دائم التوبة ودائم الرجوع إلى الله تعالى، ولكن ما يمكن أن يخاف منه الإنسان هما أمران، وهما من أصعب الأمور التي

تصير مع الحي فيخاف على نفسه، ولو بقي ألف سنة في الطريقة التجانية، فأما الأمر الأول فهو إذاية الإخوان، إذ أن من تعوّد إذاية الإخوان ولم يتب ويغيّر قلبهم ولم يرجع فإنه يخاف على نفسه أن يطرد لا قدّر الله تعالى يُطرد من حضرة القرب والعياذ بالله تعالى، وأما الأمر الثاني فهو الالتفات إلى شيخ آخر، فمن أخذ الطريقة التجانية ثم التفت إلى غيرها من المشائخ فإن الشيخ سيدي أحمد التجاني رضي الله عنه لا يسامحه، والشيخ رضي الله عنه دائما معنا يسمعنا ويرانا ويجلس بيننا، وذلك للقوة الباطنية والوقار اللذان أمدّه الله تعالى بهما، فإن أكابر العارفين لا يستطيع أن يحقق النظر فيه، ولكنه يبقى دائما معنا، رضي الله عنه، وليس ثمة شيخ كشيخنا، فلم يكن من هو مثله ولن يكون من بعده من هو مثله، وأما ما عدا إذاية الإخوان والالتفات إلى غير الشيخ فإن كل ما بقي من الضمانات صحيح، ولكن نزيد عليهم أمرا آخر جامعا مانعا في الإسلام وفي الإحسان وهو عدم الأمن من مكر الله تبارك وتعالى، ﴿**أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ اللّهِ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ**﴾[70]، ولذلك قال رضي الله عنه في الإفادة الأحمدية: "**كل ما ذكرتُ لكم في هذه الطريق، حقّ واقع إن سلمنا من مكر الله فالرسل عليهم الصلاة والسلام على جلالة قدرهم وعلوّ منصبهم ما أمنوا مكر الله، فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون**"

فمن تجرأ وقام بمعصية، أكرمكم الله، فإنه لم يخف الله تعالى ومن لم يخف الله تبارك وتعالى فإنه قد أمن مكره، ومن أمن مكر ربه فإنه يتمرغ فوق هواة وحفرة الهلاك لا يدري متى يقع فيها، ونحن كلنا وأنا أولكم معنيون بنفس

---

[70] (99) سورة الأعراف

الكلام، على حسب مرتبة كل واحد منّا وفهمه، وعلى حسب نوع ذنبه ونوع فكره، فالذنوب أنواع، وذنوب القلوب أقوى وأصعب من ذنوب الجوارح، فالغفلة عن الله سبحانه وتعالى تعدّ أصعب الأمور وأقوى الذنوب، بعد الكفر بالله تعالى، نعوذ بالله من ذلك، وقس على ذلك، فالفقير التجاني عاهد الله تعالى وعاهد النبي صلّى الله عليه وسلّم وعاهد الشيخ رضي الله عنه على الاتباع والاستقامة، ولكن عصرك ليس كعصر غيرك ممن سبقوك، والشباب ليسوا مثلك، وليس من عمره خمسون سنة كمن عمره ثلاثون، وكذلك فإن الانفتاح اليوم على الأنترنت فيه مناع كبيرة لكنه خطير جدا، ولكن لا يقدر أحد أن يمسك بزمام هذا الأمر، ولكنه ساهم بسرعة عجيبة في تفشي الأمراض الاجتماعية.

فقير: سؤال آخر في نفس الموضوع، هل المقصود بالالتفات عن الشيخ رضي الله عنه: الالتفات عن الطريقة عموما إلى غيرها أو الالتفات عن الشيخ المربي؟

البيان: فأما الالتفات عن الشيخ رضي الله عنه فيكون في ترك الورد، فتحل به المهالك والمصائب في الدنيا وفي الآخرة، لأنه قبل أخذ الورد اشترط عليه شروطا: عدم الزيارة، عدم الترك، عدم اجتماع ورد مع ورد آخر والجماعة، فترك الورد يعد التفاتا عن الشيخ رضي الله عنه، وأما النوع الثاني من الالتفات فهو تخليط الطريقة بطرق أخرى أو الميل إلى شيوخ غير سيدي أحمد التجاني رضي الله عنه فيقرأ كتب التصوف ثم يقول: قال سيدي فلان كذا وكذا، وسيدي فلان أدرك مقام كذا، ويميل إليهم بالاعتقاد والاستمداد

ويسوي مراتبهم بمراتب شيخه وربما استعظمهم على شيخه في قلبه ولا يشعر بل وقد تجده يعيد كلام مشائخ التصوف الأموات منهم أو الأحياء، فهذا لا يسامح له الشيخ سيدي أحمد التجاني رضي الله عنه هذا الالتفات، وكذلك يعدّ التفاتا في حق من يتلاقى مع القطب أو مع عارف ومربٍّ في الطريقة ثم يبدّله بدون موجب وخاصة إن كان ذلك العارف من أهل الله ومفتوح عليه ويتقابل مع النبي صلّى الله عليه وسلّم يقظة، فمن التفت عن مثله فقد أصبح في تلاعب ولا يأتيه إلا الضرر الكبير، وهو التنقل من مشرب إلى مشرب ومن شيخ تربية إلى شيخ آخر وهذا في وسط الطريقة التجانية، فهذا يكون منه خطر عظيم على المريد لأنه يفسد له نيته مع شيخه، وأقلها أنه إن أخذ عن مقدم صحيح السند ثم قرأ واطّلع على الكتب فاعتقد أنه أصبح على شيء أو أصبح يقول بنفسه فيحتقر شيخه الذي أخذ عنه والذي، كما قاله سيدي الحاج الأحسن في الإراءة، "**هو قادوسه ومنبع شرابه وأصل ربحه وحضرة سعادته**"، فيلتفت عنه فلا يذكره ولا يعتبر أنه هو شيخه الأول، ثم يأخذ أسانيدا أخرى في الطريقة ثم يصير مقدما، فقد قال فيه سيدي الحاج الأحسن، "**وربما يزدريه فيقول أنا أخذت عن فلان يعني غير الأول وإن بحثتَهُ يقل أخذت الطريقة عن ذاك الفلاني ويشير له بلفظ البعد فتغار حضرة سعادته الأولى ويبقى مذبذبًا ليس بفقير ولا بغيره**" فهذا قد انقطع عن الطريقة، فالانقطاع عن المقدم الذي ليس مكلفا بالتربية ولا بالإرشاد ولا بتوصيل الأسرار ولا بالترقية ولكنه صحيح السند وصحيح الإذن، وأخذت عنه، فإذا التفت عنه باحتقاره أو بعدم اعتباره أنه هو أصلك وسندك، فمن فعل هذا فقد بان من

الطريقة التجانية وخرج منها، وهذا خطر وهو الالتفات بعينه، وأما إذا التقى مع من ظهر له عليه علامة الفتح الأكبر والتربية والإذن في هذا المجال، فإن أحبّ أن يأخذ عنه بنية ﴿**نُّورٌ عَلَى نُورٍ**﴾[71]، وبنية أن يأخذ بيده في المعرفة بالله تعالى فهذا جائز، ولكن لا ينسى المقدم الأول الذي أخذ عنه وإلا تضرر وهلك

فقير: الأصل في المشائخ أن من أخذ عن شيخ فإنه يدله على الله، فلماذا يكون الالتفات إلى غيره من المشائخ؟ وهل هناك ما هو أعلى من الله تعالى ليدله عليه؟

البيان: إن دلّه على الله تعالى فليس هناك غير هذا، فإن وقع له الوصل وظهر عليه إذن مطلق وإرشاد فهو ذاك، وإلا فإن لم يظهر عليه شيء من هذا الذي قلناه فإنه يجوز له ذلك، ويمكنكم الرجوع للإراءة للبحث أكثر في مسألة: ماذا قال صاحب الإراءة فيمن أراد أن يجدد الإذن على يد عارف وهو أخذ عن مقدم صحيح الإذن؟ وما شروط ذلك؟ فستجدون ذلك، فالإراءة قاموس الطريقة والطرق كلها، ونحن ما زلنا لم نستعمله كقاموس، والقاموس عموما تكون فيه نقاط واضحة لا يزاد عليها ولا ينقص، كقوله رضي الله عنه في الإراءة: "**وعليه فالطريقة طريقتان طريقة المعرفة وهي بسبب مربٍّ خاصٍّ في الطريقة على وجه خاص قائم في المربي وطريقة عليين فوق الجنة الثامنة وهي طريقة المطلق بين يدي المقدمين وهي طريقة العامة وهي أسهلها**" أي أن طريقة عليين أن تأخذ الطريقة على أيّ مقدم يكون له إذن صحيح وتثبت على ذلك

---

[71] (35) سورة النور

إلى المهمات فتكون في خير عميم ولله الحمد، وأما طريق المعرفة فلابد لك من مربٍّ في الطريقة وهم كثيرون ويأخذ بيدك إلى الله تبارك وتعالى بسر السر الذي وُضع فيه بسر خاص بذات المربي كما قال سيدي الحاج الأحسن رضي الله عنه، فمثل هذه النقاط تجيب على كل الأسئلة

فقير: من أخذ عن مربٍّ في الطريقة ولكنه لم يعتقد فيه ذلك بل يراه مقدما فقط، فما يكون حكمه؟

البيان: مرتبة المقدم مرتبة عظيمة وخطيرة، فالمقدم عندنا كالشيخ رضي الله عنه، فمرتبة المقدم مرتبة عظيمة جدا وخطيرة جدا، فهي مرتبة بإذن صحيح يعطيها عارف بالله تعالى مفتوح عليه، فلابد من الاعتقاد الحَسَن والظن الحَسَن في صاحبها، لأن المقدمين يوصلون سر الشيخ رضي الله عنه وهو صاحب الطريقة، فكل خلفاءه يوصلون ذلك الخير إلى من طلبه من المسلمين، وذلك الخير عام في عمومه خاص في خصوصه بلزوم وملازمة الذكر بمعاهدة ونَذْرٍ، فلابد للفقير أن يعتقد اعتقادا عظيما في ذلك المقدم، ثم إن أراد أن يبحث عمن هو أعلى منه فله ذلك، ولكن ليس ثمة قانون يحكم به عليه على حسب سوء أو حسن نيته، فيحاسب ويعاقب على حسب النية، ولكن إن كان ظنه جميلا ونيته حسنا وذلك مبلغ ما ظهر له في ذلك الرجل، ﴿**لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا**﴾[72]، فله أن يبحث عن مربٍّ آخر يأخذ بيده إلى الله تعالى، فقد تجد بعض المقدمين حوله خمس أو ست أشخاص متشبثون به

[72] (286) سورة البقرة

ويعتقدون فيه اعتقادا صحيحا إلى الممات، فيحسن حالهم بذلك، فلا ننكر على أحد أبدا، حاشى لله تعالى.

تم بحمد الله.

بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

الدرس العاشر: تفرَّغوا مِن همومِ الدُّنيا ما استطعتُمْ

تونس في 19 شوال 1438 هـ الموافق لـ 14 جويلية 2017م

البيان: هذا حديث جامع مانع ككل أحاديث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، نعيد قراءته لنتأمل فيه قليلا

السارد: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: ((**تفرَّغوا مِن همومِ الدُّنيا ما استطعتُمْ، فإنَّهُ مَن كانتِ الدُّنيا أَكْبرَ همِّهِ أفشى اللَّه تعالى ضيعتَهُ، وجعلَ فقرَهُ بينَ عينيهِ، ومن كانتِ الآخرةُ أَكْبرَ همِّهِ جمعَ اللَّهُ تعالى لَهُ أمورَهُ، وجعلَ غناهُ في قلبِهِ، وما أقبلَ عبدٌ بقلبِهِ إلى اللَّهِ تعالى إلَّا جعلَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ قُلوبَ المؤمنينَ تفِدُ عليهِ بالودِّ والرَّحمةِ، وَكانَ اللَّهُ إليهِ بِكُلِّ خيرٍ أسرَعَ**))[73]

البيان: قوله صلّى الله عليه وسلّم ((**تفرَّغوا مِن همومِ الدُّنيا ما استطعتُمْ**)) وذلك لأن هموم الدنيا لا تنتهي وهي دائمةٌ ومحيطةٌ وتتبدل وتتغير، فكل إنسان إذا دخل في دوامة هموم الدنيا فإنه لا ينتبه أنه في وسطها، فيبقى مهتما، أي به همّ أكرمكم الله تعالى، من قلق ومرض وضغط وحياة لا طعم لها وليس فيها طيب عيش فتراه كثير التفكير وكثير الهمّ والقلق حتى تصيبه الأمراض، نعوذ بالله تعالى من ذلك، ومع ذلك لا ينتبه من غفلته، فتمر حياته كلها على هذا

[73] الراوي: أبو الدرداء | المحدث: أبو نعيم | المصدر: حلية الأولياء

النحو، فلهذا قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: تفرّغوا والمراد منه أن اجتهدوا في الخلاص من هذه الهموم، فلو قام الإنسان من نومه في كل يوم وقال: سأتحرر بإذن الله من هموم الدنيا ولن أُدْخِلَهَا في عقلي وفي قلبي وفي صدري فإنه سيعيش حياة من أشهى وأطيب وألذ العيش، فالمهم هو إخراجها من العقل فجلّ المخاوف والقلق هو في عقولنا ولكنه جلّه أو كلّه لا يقع أصلاً. فمحل الداء هو في العقل في باطننا يحزننا ولكنه في الحقيقة لا وجود له، فنحن في جنة ولله الحمد وقد أعطينا مقومات من مقومات الجنة وهي كذلك توصل إلى الجنة، فلا يحق لنا أن تكون لنا هموم كهموم عامة الناس، وذلك أن الله تعالى وفقنا للصلاة والذكر والجماعة والمحبة وأسرار الدين كلها، وذلك فضلا منه لا استحقاقا منا، فعلى هذا نكون في غاية الشكر

السارد: تفرَّغوا مِن همومِ الدُّنيا ما استطعتُمْ

البيان: أي لا تدعوها تسيطر عليكم حتى يصير العالَم الذي أنتم فيه عالم هموم دائم

السارد: فإنَّهُ مَن كانتِ الدُّنيا أَكْبرَ همِّهِ أفشى اللَّه تعالى ضيعتَهُ

البيان: ولماذا تحيط الهموم بالإنسان؟ لأنه أعطاها قيمة، ولأنه كبّرها في عقله وفي قلبه، ولأنه اهتم بها ثم اهتمّ لها، فكيف لا يعتبر الإنسان مما يشاهده من مليارات الخلق أمامه تصيبهم الصدمات والأمراض، وهي في الحقيقة كلها علامات تخاطبه قائلة: يا إنسان إن قلبك مملوء بأمور غير صحيحة فارجع عما أنت فيه فليس هذا هو المقصود، وليست الدنيا مقصودة في حد ذاتها فإنك فيها عابر سبيل، فتمتع بها ولكن تذكر أنك عابر سبيل، وكُلِ الحلال الطيب

ولكن تذكر أنك عابر سبيل، فلا تملء منها يدك ولا تملء منها قلبك ولا تقلق، فإن أخذت الدنيا منك اثنا عشر أو أربعة عشر أو ستة عشر ساعة، فإنك قد بعُدت عن طريق الصواب، وأما إن جعلت لعملك خمس أو ست ساعات مع التركيز والاتقان ففي ذلك البركة، فتكون في خير وفي تفرّغ، وذلك حتى تجد متسعا لوضوئك وصلاتك ونعاسك وجلوسك، فجلستك تلك قد يراها بعض الذين يلهثون وراء الدنيا جلسة فارغة لا جدوى منها وهي في الحقيقة جلسة عامرة

السارد: فإنَّهُ مَن كانتِ الدُّنيا أَكْبَرَ همِّهِ أفشى اللَّه تعالى ضيعتَهُ

البيان: فيفشي الله ضيعته في الدنيا وربما لا ينتبه ولكن الضيعة الحقيقية تكون في الآخرة، فيا عباد الله إنما الآخرة هي الحياة، أحبَّ من أحبَّ وكره من كره، ((**اللَّهُمَّ لا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الآخِرَهْ، فَاغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ والمُهَاجِرَهْ**))[74]، فالحياة الحقيقية تكون في الآخرة وما الحياة الدنيا إلا قنطرة عبور لها، فالدنيا جُعلت لجمع رأس المال من الأنفاس، فيستغله الإنسان كي يجتهد فيه، فيتمتع ويأكل ويشرب ويفرح وينشط ويتزوج وينجب الذرية ويتعارف مع الناس ولكن يضع دائما في خاطره أنه إنما عمل كل هذا بنية التعبد لله تعالى، فإن لم يفعل هذا بنية التعبد لله فإنه يسمى غير عاقل، فالعاقل هو الذي يتّبع الصراط السويّ وأما غيره فهو ليس بعاقل، ولذا على الإنسان أن يستند إلى عقله كما ينبغي، ((**فإنَّهُ مَن كانتِ الدُّنيا أَكْبَرَ همِّهِ أفشى اللَّه تعالى ضيعتَهُ**)) ومن أفشى الله ضيعته فإنه لا يجمع أحدٌ شَملَهُ، فالعلاقة حقيقة هي مع الله تعالى، والله سبحانه

[74] البخاري في صحيحه عن سهل بن سعد الساعدي.

وتعالى قد أعطى الأمر لجميع موجودات هذا الكون من المخلوقات أنك إن دُرْتَ دارت هي معك، فإن أنت دُرْتَ بالخير في الكون دارت هي معك، وإن لا فلا، فما ظلمك أحد ولا اعتدى عليك أحد ولا كان معك غير رفيق وغير رحيم، بل الله سبحانه وتعالى هو المتجلّي فيهم، ولذا فلا تُلقِ اللَّوْمَ على زوجتك ولا على الجزار الذي باعك اللحم فإنما المتصرف الحقيقي هو الله تعالى، فكما كنتَ أنت يكن معك الناس، فإن أنت كنتَ في طاعة الله يكنْ كل شيء في طاعتك وفي خدمتك، ولهذا يقول لها المولى عز وجل: (**يَا دنيا اخدمي من خدمني وأتعبي يَا دنيا من خدمك**)[75]، فترى الإنسان يجري وراء الدنيا جريًا عاما من بعد عام حتى تحين ساعته وفي هذا يقول الشيخ البعقيلي رضي الله عنه "فمن أقبل على الله بكليته أقبل الله عليه وأقبل معه جميع خلقه"[76]

السارد: فإنَّهُ مَن كانتِ الدُّنيا أَكْبَرَ هِمّهِ أفشى اللَّه تعالى ضيعتَهُ، وجعلَ فقرَهُ بينَ عينيهِ

البيان: قوله صلّى الله عليه وسلّم: ((**وجعلَ فقرَهُ بينَ عينيهِ**)) أي ألاَ يكون له الفكر ولا العقل ليتمتع بما عنده بل يضيع عمره في جمع المال وفي قضايا الزمان والأعمال، فسواء من جمع كثير مالٍ أو قليله، فإنهما متساويان في هذا الأمر، لأن المقصود هو عملية الجمع في حد ذاتها، بل تراه يستكثر في جمع المال وفي جمع الحجارة والبناءات، فلا يركّز عقله في التمتع بما لديه بل يركّز فيما ليس لديه ليجمعه، وهو ما يتحدث عنه علماء الاجتماع وعلماء المداربة، وإن كانت

---

[75] الديلمي في مسند الفردوس عن ابن مسعود رضي الله عنه.

[76] سوق الأسرار إلى حضرة الشاهد الستّار

العلوم كلها تصب في بعضها البعض، إلا أننا ولله الحمد جعلنا سندنا في أمرين: قال الله تعالى وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فينفذ ذلك إلى جميع العلوم، والبقية كلهم يستمدون منه، علموا ذلك أو جهلوه، فيرتاح الإنسان بذلك، وإذا طلب منه المزيد اكتفى بما أعطاه ربه، بل وتراه في أوج العطاء ولكنه يكتفي قائلا: لو بنيتُ منزلا جديدا أو افتتحت مشروعا جديدا فما النتيجة المرجوة من ذلك؟، لن تجد لذلك جوابا، لماذا؟ لأنه لم يجعل الله فقره بين عينيه، فحبة واحدة من الصلاة على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم خير لك من الأكوان وما فيها، فلو أن ابن آدم ملك الدنيا بحذافيرها ثم قال "**الحمدُ لله**" لكانت "**الحمد لله**" خير له من ذلك كله، وكذلك حبة واحدة من "**لا إله إلا الله**" مخلصا بها قلبك تتزعزع لها كل العوالم العلوية لشدة حرارتها، ((**تُفتحُ أبوابُ السماءِ ويُستجابُ الدعاءُ في أربعةِ مواطنَ عندَ التقاءِ الصفوفِ في سبيلِ اللهِ وعندَ نزولِ الغيثِ وعندَ إقامةِ الصلاةِ وعندَ رؤيةِ الكعبةِ**))[77] فانظر رحمك الله قوله صلّى الله عليه وسلّم **عند إقامة الصلاة** وهي مرحلة الاستعداد للدخول للصلاة فيستجاب فيها الدعاء، وهو ما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم وأشياخنا العلماء الربانيون العارفون فقد أفنوا أعمارهم في خدمة الدين، فعلى كل ذي عقل أن يأخذ بطرف كأقل ما يكون ولا يستهزئ بالأمر كما يقول سيدي الحاج القمار رضي الله عنه "**الدنيا صعيبة والآخرة أصعب**"، فعلى الإنسان أن يدافع عن نفسه حتى ينجو فالأمر ليس بالهيّن، وليأخذ حذره من الدنيا كأقصى ما يكون، ((**ألا إن هذهِ الدنيا حُلوةٌ خضِرَةٌ، وإن اللهَ**

[77] رواه أبو أمامة الباهلي رضي الله عنه وأخرجه الطبراني، والبيهقي باختلاف يسير

مُستخلفكُم فيها، فناظرٌ كيفَ تعملونَ، ألا فاتّقوا الدنيا واتّقوا النساء))[78] والدنيا كالأفعى تتلوى وتتلوّن ثم تلدغ صاحبها، فأين الملوك الذين سبقونا؟ وأين الآمال التي حطمتها الدنيا فجعلتهم كلهم تحت التراب، فما العمل؟ ((**سدِّدوا وقارِبوا**))[79]، وحافظوا على رأس المال الذي هو الصلاة وأما غير هذا فالرزق قادم لا محالة، (**لَوْ أَنَّ ابْنَ آدَمَ هَرَبَ مِنْ رِزْقِهِ كَمَا يَهْرَبُ مِنَ المَوْتِ لأَدْرَكَهُ رِزْقُهُ كَمَا يدركه الموت**)[80]، وهذا سواء في الرزق الحسي أو المعنوي، فيأتيك رزقك رغما عنك، لأنه مقدّر ومكتوب، فيجب على الإنسان أن يؤمن بالقضاء والقدر، فيتسبب ولكنه يكون موقنا أن هذا الأمر مكتوب، ولذا يتسبب ويتحرك بتؤدة، فلا تموت نفس حتى تستوفي رزقها، ((**يا أيها الناس اتقوا الله وأجملوا في الطلب فإن نفسا لن تموت حتى تستوفي رزقها وإن أبطأ عنها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب خذوا ما حل ودعوا ما حَرُمَ**))[81]، وهذا لا يتنافى مع الاجتهاد في التسبب والبناء والغراسة في المجتمع والتنمية البشرية، فتسبّبْ يا أخي وأحيي القلوب، فما قيمة من أحيا نفْسًا؟ قال تعالى: ﴿**وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا**﴾[82]، وإحياء النفس يكون بالقراءة وبالتعليم وبالتزويج وبفعل الخيرات، ولكن لوجه الله تعالى، وليس حتى يقال فلان فعل كذا وكذا، ولكن أَجعلُها بيني وبين مولاي سبحانه وتعالى، وذلك عين الربح، وأما الصلاة فهي عماد

---

[78] الراوي: أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط.

[79] الراوي: أبو هريرة | المحدث: ابن حبان | المصدر: صحيح ابن حبان

[80] أبو نعيم في الحلية عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما

[81] أخرجه ابن ماجه، وابن حبان باختلاف يسير

[82] (32) سورة المائدة

الدين ولابد من إقامتها،((**أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة فإن صلحت صلح له سائر عمله وإن فسدت فسد سائر عمله**))[83]، يا لطيف ... يا لطيف! فلا يكفيه أن يتصدق وأن يفعل الخيرات ويحيي الأرض ويدفع الدين عن المديون وهو لا يصلي.

السارد: ومن كانتِ الآخرةُ أَكْبرَ همِّهِ جمعَ اللَّهُ تعالى لَهُ أمورَهُ

البيان: بأن يجعلها في قلبه، ويهتم لأمر صلاته وصيامه في رمضان، ويبتعد عن الحرام والربا من البنوك، ويفعل الخيرات، فتكون الآخرة أكبر همه، فهذا يجمع الله تعالى له أمره، وما معنى أن يجمع الله تعالى أمر الإنسان؟ بأن يقضي له جميع حوائجه دفعة واحدة، أي أن كل ما يهمه من جميع الأمور يجمعها له الله تعالى وجمع الله ليس كجمع العبد لنفسه ولا كجمعِ عبدٍ لعبدٍ آخر، فلو جمع الله تعالى لك أمرك فإنك مهما كبوت كنت في نجاح تام، وكما قال الشاعر:

سقف بيتي حديد ** ركن بيتي حجر
فاعصفي يا رياح ** وانتحب يا شجر
واسبحي يا غيوم ** واهطلي بالمطر
واقصفي يا رعود ** لست أخشى خطر

لأنه عوّل على الله سبحانه وتعالى وحده وأطاعه فكان الله تعالى له وليّا وأعانه وحفظه

السارد: وجعلَ غناهُ في قلبِهِ

---

[83] المعجم الأوسط للطبراني عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

البيان: فلذة وطيب الغنى في القلب، ولذة الفرح والسرور والنشاط في القلب لا تعادلها لذة، ففي الدنيا ليس هناك لذة كلذة الزواج مثلا، ولكنها لا تظهر في الآخرة أمام لذة المعرفة بالله تعالى وكذلك لا تظهر لذة المعرفة بالله في الدنيا على حقيقتها ولو وصلها، فمن عرف ربه كان في قلبه نور وانشراح وسرور وغبطة وفرح لكنه لا يوصف، فكأنه مَلَكَ الدنيا كلها في قلبه وهو ملِكٌ ينظرها من فوق السماوات السبع، لماذا؟ لأنه عبدٌ لربه، وهذا لا يعرفه إلا من ذاقه

السارد: وما أقبلَ عبدٌ بقلبِهِ إلى اللَّهِ تعالى

البيان: فانظر رحمك حلاوة هذا اللفظ، عبدٌ، وما معنى عبدٌ؟ أي مملوكٌ لمالكٍ الذي هو الله سبحانه وتعالى، والمملوك حُكْمُهُ عند سيده، فإن أطاع سيده كان في خير وهناء، لأنه سيّدٌ ليس ككل الأسياد، إنما هو السيّدُ الحقيقي، "**يَا ابْنَ آدَمَ، أَطِعْنِي فِيمَا أَمَرْتُكَ، وَلَا تُعْلِمْنِي بِمَا يُصْلِحُكَ، إِنِّي عَالِمٌ بِخَلْقِي، وَأَنَا أُكْرِمُ مَنْ أَكْرَمَنِي، وَأُهِينُ مَنْ هَانَ عَلَيْهِ أَمْرِي، وَلَسْتُ بِنَاظِرٍ فِي حَقِّ عَبْدِي حَتَّى يَنْظُرَ عَبْدِي فِي حَقِّي**"[84]، [تبصرة الأرواح] وقال تعالى "**أَنَا اللَّهُ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ فَهَلُمُّوا إِلَيَّ أَجْعَلُكُمْ أَحْيَاءً لَا تَمُوتُونَ**"[85]، ولكن لا تتمنى عليّ وتضع قيودا وشروطا بيني وبينك، فما عليك إلا أن تطيعني وأنا أعطيك في بعض الأحيان ما تحب وفي أحيان أخرى ما ينفعك في الدنيا وفي الآخرة،

---

[84] حلية الأولياء لأبي نعيم الاصبهاني

[85] ابن أبي الدنيا في هواتف الجنان عن سفيان ابن عيينة

فأنت عبد، وأما إن اعتقد الإنسان أنه مستقل بذاته مع الدنيا، فإنه ينسى عبوديته لله تعالى ولا يطيعه، فما تكون قيمته حينها؟، الأمر صعب للغاية

السارد: **وما أقبلَ عبدٌ بقلبِهِ إلى اللَّهِ تعالى إلَّا جعلَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ قُلوبَ المؤمنينَ تفِدُ عليهِ بالودِّ والرَّحمةِ**

البيان: وما أقبل عبد بقلبه بحقيقة وإخلاص وبكلّيّتِه على الله تعالى إلا جعل سبحانه قلوب المؤمنين مسخّرة له، والمؤمنون كلهم بركة، فيصير المؤمنون يحبونه ويعطفون عليه ويَفِدُون عليه بالود والرحمة، وما أحوج الإنسان إلى الود والرحمة، فإن لم يحتجها اليوم فربما يكون غدا في أمس الحاجة إليها، فلينتبه الإنسان إلى مثل هذه الأمور، فغدًا إن أصابه تعبٌ أو مرضٌ فإنه يحتاج الود والرحمة، ولذا على الإنسان أن يعدّ اليوم أناسا يعاشرهم لوجه الله تعالى حتى يفدوا إليه بالود والرحمة، وحتى تكون له هذه القوة الباطنية من مودة ورحمة، أي أن له أصحابا وذلك مما يوصي به صلّى الله عليه وسلّم: ((**استكثروا من الإخوانِ فإن لكل مؤمنٍ شفاعةً يوم القيامةِ**))[86] فالمقصود بالإخوان أو الأصحاب الذين لا يكون بينك وبينهم أغراض فإنهم ينفعونك في الدنيا وفي الآخرة، فإنهم عُدّةٌ في الشدة ورحمة وخير وبركة في الرخاء، فليجعل الإنسان إخوانا يستأنس بهم ويتمتع معهم

السارد: **وَكانَ اللَّهُ إليهِ بِكُلِّ خيرٍ أسرَعَ**

---

[86] أخرجه أبو نعيم في ((حلية الأولياء))، وعزاه السيوطي في ((الجامع الصغير)) للحاكم في ((تاريخه)).

البيان: وكان الله تعالى، لا غيرُهُ، بكل خير وفيه جمعٌ لجميع أنواع الخيرات دنيا وأخرى، مما علمنا ومما لم نعلم، يكون بها إليه أسرع مما يفكر أو يطلب، فلا يبقى الإنسان في بوتقة الدنيا التي هي نقطة من بحر، فأسرار الله تعالى وكذا خيراته لا حدّ لها، فلا يحصر الإنسان نفسه في الدنيا فقط من بين كلّ مُلك الله تعالى، فيجري وراءها ويجعل فيها همّه كله ويعطيها وقته كله، بينما مُلك الله تعالى فسيح وواسع وخيراته واسعة، ويقدر الله تعالى أن يملّك الإنسان هذه الدنيا آلاف المرات أمورا أخرى لا تُعرف كيفيتها، فمن الناس من يستطيع أن يتّجه إلى الحائط ويقول "اخرج يا المال" أي اخرج يا أيها المال فيخرج منه الذهب ولكنه لا يفعل ذلك، ولو نوى أن يجد مليارا تحت مخدته صباحا لوجده كما طلب ولكنه لا يفعل ذلك، ولكن مثل هؤلاء الناس يعملون ويجتهدون ويتاجرون بيعا وشراء، وإذا حان وقت الصلاة فإن القلب لا يكون مركزا إلاَّ على الصلاة، تماما كالميزان، فيكون في انتظار الصلاة تلو الصلاة وفي انتظار الذكر والاجتماع مع الفقراء من طلب علم إلى أكل وشرب، فيكون في نشاط، فتلك هي الحياة الحقيقية.

ثم إني أخاطب نفسي وأنصحها، فالكلام موجه لي لا للإخوان، وأما هم فقد وقر في صدورهم ما هو أعظم وأكبر رضي الله عنهم وأرضاهم ومتعنا بمحبتهم وبركتهم آمين، فمن سمع مثل هذا القول فأعجبه فليعمل به وإن لم يعجبه فهو مخير في العمل به أو تركه، فأكلم نفسي شخصيا ببركة نوركم العظيم.

تم بحمد الله تعالى.

بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

الدرس الحادي عشر: أسانيد المشرب البعقيلي في تونس

البيان: أول حلقة من حلقات أسانيدنا هو سيدي الحاج محمّد القمار رضي الله عنه وأرضاه وهو العارف الكامل الواصل وهو قطب جامع رضي الله عنه وأرضاه ونفعنا به آمين، ومجدد في الطريق وله تربية وسر في التربية خاصٌّ به وخاصٌّ بذاته الشريفة وفيه أمر خاص به، فالمربي من جنسه رضي الله عنه هو هذا، وكل الناس من الأكابر يكونون هكذا، أي يكون له في التربية أمر خاص به، فما المقصود بذلك؟ إذَا لم تقصّر همتك عليه لا تنال ذلك السر وإذا قصّرت همتك عليه تنال من سره، وسره خاص بذاته، فإذا أخذت عنه الطريقة وقلتَ: أخذتُ الطريقة عن المقدم وكفى، فإن لك منه أنه مقدم فقط، فأنت الذي نزّلت المرتبة وليس هو، لأنه كان سيعطيك ما هو أعلى، وهو ما قال فيه سيدي الحاج الأحسن البعقيلي رضي الله عنه في الإراءة مما معناه: لسبب خاص بذات المربي، فمن هنا إذا نظرت للمسألة من العموم فإن الطريقة هي طريقة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وطريقة الشيخ رضي الله عنه وهي عامة وهي هي في كل الميادين وفي كل العوالم وهي الطريقة وكفى، فهذه ناحية من نواحي المسألة، وأما إذا أردت أن تنظر إلى خصوصيات الطريقة فإن لكل مربٍّ سرًّا خاصا به لا يناله من أخذ عنه إلا بنية صالحة وبسرّ خاص يخرج من ذات المربي، فلا تستطيع أن تجد سيدي الحاج القمار في غير

من أخذ عن سيدي الحاج القمار، وإن كان العارفون بالله تعالى لهم مواطن اشتراك يتذوقها من كان واصل الكمال فتشم منه رائحة وهو يشم منك رائحة ذلك السر، ومثاله سيدنا سيدي محمّد الكبير البعقيلي وهو قطب مفتوح عليه منذ الصغر عالم فاهم مرب واصل خليفة ويتقابل مع سيدي محمّد القمار في الغيب ومع ذلك فإنه كلما أتاه من تلاميذ سيدي محمّد القمار فإنه يتذوقه من حركاتنا وسكناتنا، فإن أقل قليل من حركة أو سكون أو كلام فإنه يجعله مباشرة يلتقي مباشرة مع سيدي محمّد القمار فيطّلع على سر ذلك المربي فيكتب عنه كأنه عاشره وجالسه وتدارس معه وتذاكر معه، فإذا رأيتم كتابات سيدي محمّد الكبير رضي الله عنه وأرضاه عن سيدي محمّد القمار فإنك ترى العجب العجاب، فمن أين يصفه وهو لم يتقابل معه؟ إنما يصفه بما تلاقى معه في عالم الأرواح وبما تلاقى معه في عالم الغيب وبذلك السند العظيم الذي يربط بينهما وهو الصلة بينهما وأيضا بما تلاقى به وما رآه من فقراءه وتلاميذه فمعرفة السند أمر عظيم.

فهذا سيدي محمّد القمار رضي الله عنه وأرضاه الذي أخذ عن سيدي الحاج الأحسن البعقيلي وأنتم تعرفونه وتعرفون مرتبته وهو قطب جامع عالم زاهد مرب كشفَ عن غيوب وبواطن وأسرار الطريقة فأخرجها من مقامات السر إلى مقامات العلم فوسع بذلك دوائر الأسرار ودوائر العلوم وكتب ما كتب من الإراءة والشرب الصافي وسوق الأسرار وجعل في هذه الكتب ذخيرة لكافة أمة المسلمين ولم يجعلها مقتصرة إلا على الطريقة التجانية وإنما هو عالم ينتفع به كل مسلم وليس الطريقة التجانية فقط، ولذا قال: لم يؤلَّف مثلهما في

الإسلام؛ أي كتابا الإراءة وسوق الأسرار. والإراءة هو قاموس الطريقة والطرق كلها وألف كتاب لباب مقاصد النظم النبوي والشفاء بالكلام المصطفوي في الحديث النبوي الشريف وقال عنه: "**ينتفع به؛ ففيه كل العلم والفقه والتصوّف فخذ به يكفيك عن جميع الكتب**"، رضي الله عنه وأرضاه ونفعنا به، والآن أصبح العلماء يكتبون عن سيدي الحاج الأحسن البعقيلي وعن مشربه الذي ما زال في توسع وفي ازدياد.

ثم سيدي الحاج الحسين اليفريني وهو قطب جامع كذلك في زمانه وهو صاحب تزنيت رضي الله عنه وأرضاه وقد ألف كتبا من جملتها "**الخواتم الذهبية**" و"**ترياق القلوب من أدواء الغفلة والذنوب**" وله مؤلفات أخرى وهو مشهور فقد ظهر بظاهر العلم وظاهر الشرع وهو عجيب رضي الله عنه وأرضاه فقد قال: عمري ما لعبت في صغري، وهم كلهم من أهل الغيب وكلهم شيء خاص لا يوجد في كل يوم فإذا تلاقى بهم الإنسان فإنه يعرف أنهم من أهل الغيب فقد برزوا.

كمثال سيدي الحاج القمار رضي الله عنه وأرضاه فقد كان في عمرٍ أكثر من المائة عام وهو ينام ثلاث ساعات في الليل فقط منذ أمره الفقيه البعقيلي قالها له مرة واحدة فامتثل على الدوام وعمره لم يمدّ ساقيه نائما ولم يجعل لنفسه وسادةً ولا ينام كما ينام الناس، وقد كانت زوجته أمي جميلة رضي الله عنها من باب التربية لنا ونحن صغار تحدثنا عنه فتقول: منذ تزوجني الشيخ لم ينم بجانبي إلا في الأوقات المخصوصة بين الزوج وزوجته! وإلا فإنه دائما على قطعة

من الجلد صيفًا وشتاءً على الأرض فإنه عمره لا ينعس كما ينعس الناس، فهذه شهادة في حقه وهي من باب التربية لنا. وقد رأيت فيه ذلك بنفسي فقد بتّ معه سنوات وسنوات فلم يكن رضي الله عنه ينام كما ينام الناس أبدا وهو مجدّد في الطريقة.

وقد كتبتُ عنه بعض المقالات العلمية وأولها بعنوان "**الشيخ سيدي محمّد القمار وعلاقته بشيخه البعقيلي رضي الله عنهما**" وقد قرأه الإخوان في المغرب حتى أن سيدي محمّد الكبير البعقيلي رضي الله عنه رجع إلى ذلك المقال بعد عامين وطلب أن تسرد تلك الكلمة في مجمع كبير من الفقراء وسألهم رضي الله عنه قائلا: من منكم يتذكر كلمة منها؟ من منكم جعل حول هذه الكلمة درسًا أو مذاكرةً؟ وقد ذكر رضي الله عنه في حق تلك الكلمة العلمية كلامًا عظيمًا، فقال: أناس حبّروا بدم قلوبهم وأسهروا فيها الجفون، فمن الصعب أن تتكلم عن مثل هؤلاء الشيوخ الذين لو دخلت على أحدهم من باب العلم لوجدته حاضرا، ولو جئته من باب النحو وجدته حاضرا، ولو جئته من باب التربية وجدته حاضرا، ومن باب الفتح تجده كذلك، فمن الصعب أن تكتب عن هؤلاء الأكابر، فمن نحن حتى نكتب عنهم؟! فلو لم يكن التوفيق الإلهي والمحبة الجاذبة للقلوب لما كتبنا عنهم، ثم هناك مقال ثانٍ عن سيدي الحاج القمار وخصوصيته في التربية وكيف كان رضي الله عنه في زاوية ترنجة وكيف أنه لم يطلب إجازة، وعندما أعطي إجازة من أولاد سيدي السائحي رضي الله عنه بسند سيدي الحاج علي التماسيني رضي الله عنه وأرضاه عنا ونفعنا به آمين، ولكن شيخه كان حيا وقتها، فغضب غضبا شديدا على الفقراء الذين لم

يستشيروه في ذلك وخاف على نفسه وتبرّأ واشتكى لشيخه ذلك الأمر وبيّن له أنه لم يطلبه أبدا ولا تشوّف إليه أبدا، ولم يقبل ذلك التقديم، في حين أن البعض تجدهم ينتظرون التقديم، مع أن مجرد التفكير في التقديم محبة أو تشوقا فقط يعتبر خيانة، لأنك دخلت الطريق والتزمت به لتهذّب نفسك من الأغراض وتداويها من أمراض الأنانية وحب النفس لا لطلب الرئاسة بالتقديم على الناس ولا حتى للتشوف لها بالتقديم على الفقراء فقد طلبت عكس ما دخلت لأجله فهي خيانة وتقهقر إلى الوراء، فقد خنتَ الله ورسوله، فالتقديم لا يطلب وإنما يعطى تكليفا فإن أعطيه الإنسان فليقل: يا رب أعنّي، لأن التقديم صعب وخطير. وما كان عليه سيدي الحاج القمار من تقصير همة الفقراء في الفقه على ميارة وفي علم الطريقة على الجواهر وكتب الشيخ البعقيلي وخاصة الإراءة والشرب الصافي وسوق الأسرار، وتقصير الهمة في المدح على البوصيري من البردة والهمزية، وفي الحديث الشريف على الجامع الصغير للسيوطي، وفي التاريخ الإسلامي على الواقدي، فهذه من ميزات سيدي الحاج القمار رضي الله عنه، ومن أهم الميزات كذلك قراءة الكتب بعد الوظيفة مباشرة، وهي ميزة لم نرها في غيره رضي الله عنه، وقد كان في أول الأمر رضي الله عنه يفسر قليلا ويبين معاني الكلمات ثم بعد ذلك لما تزايد عدد الفقراء أصبح يسري فيهم الفهم بباطنه رضي الله عنه فيحصل لهم من الفهم العجب العجاب، فيخرجون من الزاوية بعد قراءة الوظيفة وقراءة الكتاب وكأنهم يطيرون بين أرض وسماء بين هواء وفضاء، لقوة النور الباطني، ولقوة جيوش الإمدادات الباطنية.

وقد أخذ سيدي الحاج القمار رضي الله عن سيدي الحاج الأحسن البعقيلي الذي أخذ بدوره عن سيدي الحاج الحسين اليفريني رضي الله عنه وله زاوية في تزنيت ومقامه في وسط الزاوية ويزار ويتبرك به وله كرامات عظيمة وهو معروف ومشهور والذي أخذ عن القطب الفرد الجامع سيدي محمّد أحمد أكنسوس والذي تربع على عرش القطبانية العظمى وهو مدفون في مدينة مراكش وهو من أكابر أكابر العارفين بالله تعالى ومن أكابر أصحاب العلم وله مؤلفات عدة وقد كان وزيرا للمعارف في الحكومة المغربية في زمانه[87] وهو كذلك من أعيان تلك البلاد ومن أعظم الكتب التي ألفها الرسالة المسماة: "**الجواب المسكت فيمن تكلم عن الإمام التجاني بلا تثبت**" وهو كتاب أمره عجيب، وقال فيه سيدي الحاج الأحسن البعقيلي رضي الله عنه فيما معناه: من أراد أن يتكلم، فليتكلم مثل المسكت أو ليسكت، لأنه رضي الله عنه رد على المنكرين في زمانه بأجوبة الصوفية ولم يجبهم بأجوبة الشيخ التجاني رضي الله عنه، فقال لي سيدي محمّد القماري رضي الله عنه: قد حاربهم بسلاحهم رضي الله عنه كأن جميع كتب الصوفية مفتوحة أمامه وهو يقرأ ويختار ويجيب. ا.هـ فأمره رضي الله عجيب وهو من أهل التصريف ومن أهل الفتح ومن الأكابر، رضي الله عن سيدي محمّد أحمد أكنسوس فهو آية من آيات الله تعالى، وله من التواضع لله تعالى ما لا يتصور، وله كتب أخرى ومن جملتها "**الحلل الزنجفورية على الأجوبة الطيفورية**"، وهو يمثل جوابا عن أسئلة عالية في علم الطريقة

[87] اشتغل كاتباً في الديوان المخزني وارتقى سنة 1236هـ/1820م إلى مرتبة وزير، وقرّبه السلطان مولاي سليمان رحمه الله وكلّفه بمهام عدة

سألها أحد المقدمين، والعارف بالله تعالى إذا ما سألته أسئلة عالية فإنه يتحرك باطنه ويخرج لك منه الجواب عاليا، وإذا لم تسأل فلا يتحرك باطنه، وبالتالي **فالعارف المأذون يتحرك على حسب نية المتوجِّه إليه**، فإذا ما توجهتَ إليه بنية قوية فإنها ستحرك ذلك النور الذي بداخله وستخرج منه ما تخرج، فنية المتلقي هي التي تتصرف وتخرج منه أي من العارف ذلك العلم أو ذلك السر، فالعارف له في ذاته شيء خاص من عند الله تعالى إذا ما توجهتْ إليه نيّةٌ قويةٌ يَخرج منه ما يخرج وإذا لم يتوجه إليه فإنه يبقى ساكنا، هذا من عند الله تعالى، فيحس ويعرف في كل مجلس مَن مِن الحاضرين به فرح ومن به قلق ومن له نية قوية ومن له نية معوجّة، فيعرف كل ذلك وبكل وضوح وليس لديه شك ولا اختلاف، ولا يغضب من كل هذا بل يرى التجليات الإلهية فهي أمور ربانية من عند الله تعالى.

ثم سيدي محمّد الغالي رضي الله عنه وأرضاه وهو صاحب الشيخ سيدي أحمد التجاني رضي الله عنه، وقد قام سيدي محمّد المزالي بإنشاء سلسلة في بيان وتراجم هؤلاء الرجال، وإن شاء الله ستطبع في المغرب الأقصى عن قريب، وقد وعدني شخصيا بأن يرسل لنا نسخا منها، ووعدته بأن نطبع منها للفقراء هنا في تونس، لأنها مهمة جدا، فبالإجمال هذا سندنا، ولنا أسانيد أخرى في الإراءة ومن جملتها أن سيدي الحاج الحسين اليفريني أخذ عن سيدي العربي ابن السائح عن سيدي الحاج علي التماسيني رضي الله عنه، وهنالك أيضا سيدي السرغيني وسيدي البناني المصري وسيدي عبد الوهاب ابن الأحمر صاحب الشيخ، وكلهم أسانيد لنا ولا فخر، وكلهم من أكابر الأكابر

في الطريقة التجانية، فكل أسانيد الإراءة هي أسانيدنا ولله الحمد، ومن ضمن الأسانيد الأخرى سند سيدي محمّد الكبير البعقيلي رضي الله عنه عن أخيه سيدي محمّد الحبيب البعقيلي رضي الله عنه عن والده سيدي الأحسن البعقيلي رضي الله عنه، ولنا كذلك سند آخر عن سيدي الأحسن البعقيلي رضي الله عنه عن سيدي محمود التجاني رضي الله عنه وهو الخليفة الأعظم من بين أحفاد الشيخ التجاني في زمانه، وقد أفاض إفاضات عظيمة على شيخنا سيدي الأحسن البعقيلي رضي الله عنه، ولنا أسانيد أخرى ومن جملتها سيدي محمّد أقمار عن سيدي الأحسن البعقيلي عن روحانية الشيخ القطب الأعظم سيدي أحمد التجاني رضي الله عنه مباشرة بالطريقة الأويسية، وقد ألف فيه ولده الخليفة سيدي أحمد أبو عقيل البعقيلي كتابا في ترجمة سيرة حياته سماه "**الوجيز في سيرة والدنا العزيز**".

تم بحمد الله تعالى.

بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

الدرس الثاني عشر: إلا أن يتغمّدني الله برحمته

سوسة في 29 رجب 1437 هـ الموافق لـ 7 ماي 2016م

السارد: قال سيدي الحاج الأحسن البعقيلي رضي الله عنه في الإراءة الطبعة الأولى ج1 ص137: فإذا أكبت على إقامة الصلاة

البيان: قال صلّى الله عليه وسلّم: ((**إنَّ الرَّجُلَ لَيعمَلُ بعمَلِ أهلِ الجنَّةِ سبعينَ سَنةً فيُختَمُ له بعمَلِ أهلِ النَّارِ فيكونُ مِن أهلِ النَّارِ وإنَّ العبدَ لَيعمَلُ بعمَلِ أهلِ النَّارِ سَبعينَ سَنةً فيُختَمُ له بعمَلِ أهلِ الجنَّةِ فيكونُ مِن أهلِ الجنَّةِ**))[88]. وقال صلّى الله عليه وسلّم: ((**ما منكم مِن أحَدٍ يُدخِلُه عمَلُه الجنَّةَ فقال بعضُهم ولا أنتَ يا رسولَ اللهِ قال ولا أنا إلَّا أنْ يتغمَّدَني اللهُ برحمتِه**))[89] وهو المعلم صلّى الله عليه وسلّم. فإذا فرح الإنسان بالطاعة فقد عوّل عليها من حيث لا يشعر بل عليه أن يقول الحمد لله أن وفقني لهذا ﴿**وَقَالُواْ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللّهُ**﴾[90] وإذا أتى الإنسان بغير الطاعة فلا يبقى عمره يندب فعله وحظه ذلك فترك عبادة ربه ويصير يعبد

---

[88] الطبراني في المعجم الأوسط

[89] الطبراني في المعجم الأوسط

[90] (43) سورة الأعراف

ذنبه فلا يعوّل على ذلك العمل غير الصالح أن يدخله النار ولا على العمل الصالح أن يدخله الجنة، بل يرجع إلى الشرع فيتوب ويأتي بالصدقات وبسائر أعمال البر، فما من عبد استغفر الله تعالى إلا وغفر الله له، وما من عبد تاب إلى الله تعالى إلا وتاب الله عليه قطعا، فعلى العبد أن يجعل لكل ذنب أو معصية توبة خاصة به وعملاً من أعمال البر خاصا به، وذلك حتى يمحوه، ولذا قال صلّى الله عليه وسلّم: ((**اتَّقِ الله حَيْثُما كُنْتَ وأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُها وخالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ**[91])) فقوله: أتبعها أي اجعلها بعدها مباشرة ولا تضيع الوقت وأما قوله: **وخالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ** فذلك لأنّ ((**حُسن الخُلقِ يذيبُ الخطايا كما تذيبُ الشمسُ الجليدَ**))[92]، وحاصل القول أنه على الإنسان ألاّ يعول على عمله بل على فضل الله تعالى، وطريقتنا هذه هي طريقة شكر وذكر خالص لله تعالى بنية الامتثال والطاعة، وإذا ما جدد الإنسان النية على هذا الأمر فإنه يذوق حلاوة الإيمان ويذوق حلاوة الذكر ويذوق حلاوة التعلق بالله سبحانه وتعالى ويذوق حلاوة الانتساب للشيخ ولهذا السند الذي يمدنا في الباطن بإذن من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وعلى الإنسان أن يحقق هذا المناط ولا يعول على طاعة تدخله الجنة ولا على معصية تدخله النار وإنما يعول على فضل الله تعالى ولهذا يقول سبحانه وتعالى في الحديث القدسي ((**أنا عِنْدَ ظنِّ عَبْدِي بِي إنْ خَيْراً فَخَيْرٌ وإنْ شَرّاً فَشَرٌّ**[93])) ويقول صلّى الله

---

[91] (أحمد والترمذي والحاكم والبيهقي في الشعب) عن أبي ذر رضي الله عنه

[92] البيهقي في شعب الإيمان.

[93] (الطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الحلية) عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه.

عليه وسلّم: ((**خصلتانِ مَا فَوْقَهُمَا مِنْ خَيْرٍ حُسْنُ الظَّنِّ بِاللهِ وحسن الظن بعباد الله وخصلتان ما فوقهما من سوءٍ، سوءُ الظن بالله وسوء الظن بعباد الله**)) قال الشيخ سيدي محمّد الكبير البعقيلي رضي الله عنه فيما هو معناه: "**نحن لا ننوي في الناس ولا ننظر فيهم إلا كما ينظر فيهم الرب سبحانه وتعالى**" ا.هـ، أي نُتبِع حسن ظننا بالله بحسن ظننا بالناس فنجعلهما مرتبطان أو سيان وهي نظرة عالية جدا بحسن ظنٍّ ليس له مثيل، فلا يعطينا الله تعالى منهم إلا الخير، فكل من رأى في الناس خيرا وخاصة إن كان ذلك في أهل المراتب والأشراف والذاكرين الله كثيرا فلا يظهر الله تعالى له فيهم إلا خيرا، وإن ظهر غير ذلك فهو في الحقيقة خير لأنه به يوقظه سبحانه وتعالى من غفلته ويريه مساويه وخطاياه ويوقظ قلبه بالأنوار القدسية فيعلم من نفسه ما لم يعلمه قبل ذلك، وذلك كله طَهُورٌ، فإذا أفاق القلب وانقدحت فيه لوامع بروق المعرفة وأنوار والإيمان وصارت بشاشته تخالط القلوب، فإن الإنسان ينقدح كذلك، فليس ثمة ما هو أعلى وأشهى وأحلى وأطيب من تلك اللحظات التي يذوق فيها تعلقه بربه سبحانه وتعالى، ويذوق فيها الصلة بينه وبين خالقه، فهذه من أعظم الوقفات واللحظات فمن وجدها فلا يضيع الوقت بل يغتنمها في الدعاء الصالح ويصفّي قلبه، ولهذا قال البوصيري في وصفه صلّى الله عليه وسلّم:

كَرُمَتْ نَفْسُهُ فَمَا يَخْطُرُ السُّو * ءُ عَلَى قَلْبِهِ وَلاَ الْفَحْشَاءُ

فقد تعالت نفسه صلّى الله عليه وسلّم وكرمت وإن كانت كريمة ونظيفة أصالةً من عند الله تعالى ولكن وذلك فقط لنتعلّم منه صلّى الله عليه وسلّم، فالقلب النقي الطاهر لا يخطر عليه إلا الخير، فلا ينظر إلى الناس إلا بالخير ولا ينوي

فيهم إلا الخير ولا ينوي فيهم سوءا أبدا، ومع ذلك يتبع الشرع معهم كما هو الحال في البيع والشراء فيجعلان بينهما مُكَاتَبَةً، فالثقة موجودة بين البائع والشاري ولولا تلك الثقة لما اشترى منه شيئا وكذلك لولا الثقة لما باعه الآخر شيئا، فالثقة موجودة ودليل وجودها تلك المعاملات في البيع والشراء، ولكن تلك المكاتبة بيننا في البيع والشراء فرض في حق البائع والشاري، لقوله تعالى فلا يستحي عبد أن يكتب معنى الآية صغيرا كان الدين أو كبيرا، وهذا هو أصل الشرع.

قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ ۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا ۚ فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ ۚ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ ۚ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا ۚ وَلَا تَسْأَمُوا أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا ۖ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۗ وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِن تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾[94]

[94] البقرة (282)

ولنرجع الآن إلى قول الإراءة "**فإذا أُكبت على إقامة الصلاة**"، وإقامة الصلاة تعني إتقان الصلاة بشروطها وآدابها وحسن وضوؤها طهارةً ونيةً وركوعًا وسجودًا، فهذه إقامة الصلاة لقوله تعالى وأقيموا الصلاة، وليست هي أداءها فقط بل المطلوب إقامتها، وأعظم شروط الصلاة حسن الوضوء، لقوله صلّى الله عليه وسلّم: ((**مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوضوءَ، خَرَجَت خَطَايَاهُ مِنْ جسَدِهِ حتَّى تَخْرُجَ مِنْ تحتِ أَظفارِهِ**))[95]، وكان صلّى الله عليه وسلّم ينبّه دائما على مسألة حُسن الوضوء، لماذا؟ لأن الوضوء يجب أن يكون متقنا كما ينبغي من جميع فرائضه كالفرض بين السنتين وهو دلك المنطقة الواقعة بين الأنف والشفة العليا من الفم، وكإتقان دلك المرفقين وهي مثنية غير مطلوقة لكيلا يتكمش الجلد في المرفق من الخلف فلا يصله ماء ولا دلك، بل يحيط ويدور الماء واليد بجميع المرفق وكأن يشمل الدلك مع الماء الكعبين من الرجلين فيشملهما الوضوء، وكذلك مسح الرأس من المنبت الأمامي المعتاد للشعر إلى نقرة القفا خلف الرأس، فهذه كلها فرائض يجب الإتيان بها، ثم إقامة الصلاة أي الإتيان بها كما ينبغي وخاصة الركوع والسجود لأن جل الناس تبطل صلاتهم لعدم إتمام الركوع أو السجود أو عدم إتمام الوقوف عند الرفع من الركوع أو عدم إتمام الجلسة بين السجدتين، التي هي فرض من فرائض الصلاة كما عند ميارة في شرح متن ابن عاشر، لقوله صلّى الله عليه وسلّم في صحيح البخاري: ((... **ثُمَّ اسْجُدْ حتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ ارْفَعْ حتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا، ثُمَّ اسْجُدْ حتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا** ...)) فعدم الاطمئنان هو مبطل للصلاة، فلابد من اعتبار الطمأنينة والاستقامة

---

95 صحيح مسلم

أي الاعتدال في الصلاة فهي واجبة للحديث ((**تُلَفُّ كَمَا يُلَفُّ الثَّوْبُ الْخَلِقُ فَيُضْرَبُ بِهَا وَجْهُ صَاحِبِهَا**))[96] ... ولذا فإنّ كل من أراد أن يجد الخير والسر والربح والفتح والكشف في غير الصلاة ضاع سعيه سدًى فهو مغرور بغير الحق، فليس ثمة إلا الصلاة، وهي من الإيمان كالرأس من الجسد وكالروح من الجسد، فلا تصلح العبادة إلا بعد الإتيان بإقامة الصلاة لا بأداء الصلاة، بل بإقامتها كما ينبغي ولذا قال صلّى الله عليه وسلّم: ((**أَوَّلُ ما يُحاسَبُ به العبدُ يومَ القيامةِ الصَّلاةُ فإنْ صلَحَتْ صلَح له سائرُ عمَلِه وإنْ فسَدَتْ فسَد سائرُ عمَلِه**))[97] فإن فسدت الصلاة ولو فعل الإنسان ما فعل وألّف ما ألّف من كتب ولو كان أعظم العلماء فلا ينظر الله إلى ذلك سبحانه وإنما ينظر إلى ما طلبه تعالى من عبده وهو إتقان الوضوء وإتقان الصلاة ثم الباقي قليلا فقليلا، والصلاة فرضت ليلة الإسراء والمعراج في 27 رجب الخير، رجب الأصم[98]،حيث يقول صلّى الله عليه وسلّم في صحيح مسلم: ((...**فأَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ ما أَوْحَى، فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلاةً في كُلِّ يَومٍ ولَيْلَةٍ، فَنَزَلْتُ إلى مُوسَى**

---

[96] عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، قَالَ :قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلّم " :**إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ فَأَتَمَّ رُكُوعَهَا وَسُجُودَهَا وَالْقِرَاءَةَ فِيهَا قَالَتْ: حَفِظَكَ اللَّهُ كَمَا حَفِظْتَنِي , ثُمَّ أُصْعِدَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ وَلَهَا ضَوْءٌ وَنُورٌوَفُتِحَتْ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَإِذَا لَمْ يُحْسِنِ الْعَبْدُ الْوُضُوءَ وَلَمْ يُتِمَّ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ وَالْقِرَاءَةَ فِيهَا قَالَتْ :ضَيَّعَكَ اللَّهُ كَمَا ضَيَّعْتَنِي ثُمَّ أُصْعِدَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ وَعَلَيْهَا ظُلْمَةٌ وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ثُمَّ تُلَفُّ كَمَا يُلَفُّ الثَّوْبُ الْخَلِقُ فَيُضْرَبُ بِهَا وَجْهُ صَاحِبِهَا**" أخرجه الطبراني.

[97] الطبراني

[98] سمي هذا الشهر الأصمّ لأنه كان لا يُسْمَع فيه لا حركةُ قتالٍ ولا قَعْقَعةُ سلاح، لكونه من الأشهر الحُرُم وقيل لتصامم الملائكة فيه عن ذنوب المؤمنين وكثرة استغفارهم لهم

صلّى الله عليه وسلّم، فقالَ: ما فَرَضَ رَبُّكَ علَى أُمَّتِكَ؟ قُلتُ: خَمْسِينَ صَلاةً، قالَ: ارْجِعْ إلى رَبِّكَ فاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فإنَّ أُمَّتَكَ لا يُطِيقُونَ ذلكَ، فإنِّي قدْ بَلَوْتُ بَنِي إسْرائِيلَ وخَبَرْتُهُمْ، قالَ: فَرَجَعْتُ إلى رَبِّي، فَقُلتُ: يا رَبِّ، خَفِّفْ علَى أُمَّتِي، فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا، فَرَجَعْتُ إلى مُوسَى، فَقُلتُ: حَطَّ عَنِّي خَمْسًا، قالَ: إنَّ أُمَّتَكَ لا يُطِيقُونَ ذلكَ، فارْجِعْ إلى رَبِّكَ فاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، قالَ: فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بيْنَ رَبِّي تَبارَكَ وتَعالَى، وبيْنَ مُوسَى عليه السَّلامُ حتَّى قالَ: يا محمّد، إنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَواتٍ كُلَّ يَومٍ ولَيْلَةٍ، لِكُلِّ صَلاةٍ عَشْرٌ، فَذلكَ خَمْسُونَ صَلاةً، ومَن هَمَّ بحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْها كُتِبَتْ له حَسَنَةً، فإنْ عَمِلَها كُتِبَتْ له عَشْرًا، ومَن هَمَّ بسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْها لَمْ تُكْتَبْ شيئًا، فإنْ عَمِلَها كُتِبَتْ سَيِّئَةً واحِدَةً، قالَ: فَنَزَلْتُ حتَّى انْتَهَيْتُ إلى مُوسَى صلّى الله عليه وسلّم، فأخْبَرْتُهُ، فقالَ: ارْجِعْ إلى رَبِّكَ فاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فقالَ رَسولُ اللهِ صلّى الله عليه وسلّم: فَقُلتُ: قدْ رَجَعْتُ إلى رَبِّي حتَّى اسْتَحْيَيْتُ منه)). وفي رواية الإمام البخاري، فقال [يعني سيدنا موسى]: ارجع إلى ربك، فإن أمّتك لا تطيق ذلك، فراجعته، فقال: هي خمس، وهي خمسون، لا يبدّل القول لديّ، فرجعت إلى موسى، فقال: راجع ربك، فقلت: استحييت من ربي، ثم انطلق بي، حتى انتهى بي إلى سدرة المنتهى، وغشيها ألوان لا أدري ما هي؟ ثم أدخلت الجنة، فإذا فيها حبايل اللؤلؤ وإذا ترابها المسك. اهـ

والمراد منه أنها فرضت خمسَ صلوات وثوابها ثواب خمسين صلاة، للحديث الحسنة بعشر أمثالها، وبالنسبة لإقامة الصلاة فإنك إذا توجهتَ

لإقامة الصلاة يتوجه إليك الحق سبحانه وتعالى بغير الحال الذي أنت عليه وإلا جلست مكانك كما أنت عليه فتتأخر ولست تتقدّم

السارد: وأكثرتَ من الصلاة على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم

البيان: ثم كثرة الصلاة على النبي صلّى الله عليه وسلّم فهي تفتح أبواب الخير، وتطهّر القلب، وتحبب إلى الرب، وتقرب من الرسول صلّى الله عليه وسلّم فهي أعظم القربات، ولهذا قال: كثرة الصلاة على رسول الله ولم يقل الصلاة على رسول الله، فالمقصود هو الكثرة ودون غرض بل تعبدا لله سبحانه وتعالى، فإنه ليس ثمة عبادة أعظم من هذه العبادة ألا وهي كثرة الصلاة على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فقد اتخذها كل الأولياء والعارفين والعلماء من هذه الأمة وسيلة إلى الله تبارك وتعالى لكل من لم يكن له شيخ، فوصل من وصل في تلك العصور وتلك العهود، والصلاة عليه صلّى الله عليه وسلّم هي عظيمة القدر والمقدار وتفتح كل أبواب الخير ولكنها مع شيخ مرشد واصل أفضل فإنه يصل بها إلى أعلى المراتب الإحسانية ولكنها وحدها وبدون شيخ مرشد إن سقط المريد فإنها لا تأخذ بيده وحدها، وأمّا مع الشيخ فإنه يأخذ بيده، وإذا سقط يوقفه من جديد بين يدي الله تعالى ويستأنف سلوكه وطريقه، وهذا الذي يصلي بين الأساطين، فنقول له: لا تصلّ بين الأساطين ولا قدّام الإمام، وتقدّم قليلا عن الموضع الذي أنت فيه فالمكان واسع وفارغ فتكره الصلاة فتُكره الصلاة بين الأساطين وقدام الإمام

السارد: فانظر ما ورد عن شيخك من الأذكار فافعله بإذن

البيان: المراد هنا أنك إن أقمت الصلاة كما ينبغي، ثم أكثرت من الصلاة على النبي صلّى الله عليه وسلّم بكثرة، حينها تبحث عن بعض الأذكار التي وردت عن الشيخ رضي الله عنه والتي ارتضاها وأذن فيها إن كان لك الإذن، فزد فيها، وأمّا قبل هذا فلا تتحدث عن أي نوع من أنواع الذكر ولا تتحدّث عن العلم أصلاً لأنّه كلّه في الصلاة، من الإتيان بالصلاة لوقتها وبشروطها وبآدابها، وأمّا إن قمت بها وأكثرت من الصلاة على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فأنت جاهز ومستعد أن تتلقى دون طلب ودون بحث ودون طمع ما يفيضه عليك سندك وشيخك في هذا السلوك وأمّا إن تطلّعت بنفسك لنفسك في نفسك فلا يكون منك شيء ولا تصل إلى أي شيء، فهذا حال الإنسان إن أراد الوصول بنفسه، قد يقضي خمسين سنة أو ربما عمره كاملا في الأوهام، فالوصول الحقيقي لا يكون إلا لمن له الإذن الخاص.

السارد: فانظر ما ورد عن شيخك من الأذكار فافعله بإذن منه

البيان: أي بإذن ظاهر وصريح منه رضي الله عنه، ولا يكون ذلك بإذن باطن كرؤيا في المنام أو تأويلها أو غيرها، فلا بد لك من المرور عبر ذاك الذي له الإذن في اليقظة وفي الظاهر وإلا فإن الأمر لا يستقيم، إذ تخطيت الوسائط فتبقى في تشويش، ومما صار لسيدي الحاج القمار رضي الله عنه مع بعض من هو مفتوح عليه وكان يتلاقى مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فرأى أن النبي صلّى الله عليه وسلّم أعطاه الإذن والإجازة في المنام، ولكن الشيخ سيدي الحاج القمار رضي الله عنه قال له: لا، وإن كان، ولو يقظة

أخذت ما أخذت من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فليس لك الحق أن تستعملها إلا أن تؤذن فيها من صاحب الإذن الظاهر الحي، وإلا فليس لك الحق لا في استعمالها ولا في إعطاءها لأنك خرقت الشرع والشرع لابد فيه من الرجوع إلى الظاهر وذلك لتطبيق الباطن مع الظاهر وإلا فيُسلك به مسلك البشارة فقط فيفرح بها ويزيد في صدقه ولكن لا يستعملها أبدا ما دام لم يأخذ الإذن الظاهر فيها

السارد: ولو بوسائط ولا تفت رأيا عن طبيبك ولا تعص أمره فإنك في دار دوائه وأنت جئت إليه لتداوي نفسك على يديه

البيان: من جاء أولا ليتداوى عند الطبيب، ثم قرأ بضع كلمات، فهل يمكنه أن يصبح يداوي نفسه بنفسه، أو يصبح بعد ذلك يداوي غيره؟!، لو اشتغل بنجاة نفسه لكان أجدى له، فعليه أن يفهم الفاتحة في الصلاة ثم يفهم معنى قل هو الله أحد، ثم الركوع، ثم يفهم كيف يعبد الله تعالى وكيف ينزع عن نفسه الأوهام لكيلا يعبد نفسه، أو يطمع في التشوف إلى الفتح أو إلى غيره، فيكون بذلك عابدا لنفسه لا عابدا لربه، فشتان بين من يعبد الله وبين من يعبد لنفسه، لو لم أخلق جنتي وناري ألم أكن أهلا لأن أُعبد؟، فهو الله تعالى يعبد دون أي نوع من الطمع تعظيما وإجلالا فقط له سبحانه وتعالى فهو المدبر وهو المعطي وهو المانع وهو الضار وهو النافع، فليس لأي مخلوق في هذه الدنيا إلا أن يسلّم ويستسلم ويمتثل ويطيع الرسول صلّى الله عليه وسلّم

﴿**مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا**﴾[99]، فلا يتخطى أوامر النبي صلّى الله عليه وسلّم فإن الإنسان إذا أقام الصلاة ونهى النفس عن الهوى فهو أعظم العبادة ((**اتق المحارم تكن أعبد الناس**))[100] ((**واهجر المعاصي تكن مهاجرا**))[101] ((**أَقِمِ الصَّلاَةَ، وآتِ الزَّكَاةَ، واهْجُرِ السُّوءَ، واسْكُنْ مِنْ أَرْضِ قَوْمِكَ حَيْثُ شِئْتَ تَكُنْ مُهَاجِرًا**))[102] فالهجرة أن تهجر ما نهى الله عنه فالإنسان إن ابتعد عن المعاصي وعمل بالطاعات فهو في عبادة عظيمة تكفيه وإن ثبت على هذا فيزيد كثرة اتقان الصلاة وإتقان الوضوء والسجود والركوع والتيمم والغسل واتقان النيات الصالحة وأما إن كان الإنسان غير متبع للشرع مع والديه ومع القرآن ومع الصلاة ومع الأوقات فأين هي المعرفة التي نتبجح بها؟؟ !! فكلنا لا يحق لنا الحديث عن المعرفة وإنما نحمد الله تعالى أن سمعنا وفهمنا قليلا، ثم نحتاط لصلواتنا ونكثر من الصلاة على النبي صلّى الله عليه وسلّم والاستغفار وعاش من عرف قدره وجلس دونه، وكما قالت أمّنا عائشة **من اعتقد أنه مخلص فهو مرائي**، فلا نعتقد أننا علماء ونحن ما أتقنّا أول مواقف الإسلام، بل على الإنسان أن يجتهد في الاستقامة ولو قليلاً،

---

[99] (80) سورة النساء

[100] الترمذي

[101] قال صلّى الله عليه وسلّم: "عليكِ بالصَّلاةِ، فإنَّها أفضلُ الجِهادِ واهجري المعاصيَ، فإنَّها أفضلُ الهِجرةِ" – الجامع الصغير عن أم سليم بنت ملحان أم أنس بن مالك رضي الله عنهما

[102] البيهقي في السنن الكبرى والطبراني في الأوسط عن صالح بن بشير بن فديك عن جده رضي الله عنه

فمن غير الاستقامة كل هذا يصير كلاما لا فائدة منه، ولنأخذ جميعا حذرنا مما قاله الشيخ رضي الله عنه لأنه قاله بتسلسل فإن الأُولى أَولى من التي تليها، فقوله (أكببت على إقامة الصلاة) مقدَّمة وأَولى من قوله (أكثرتَ من الصلاة على رسول الله) وهي أولى ومقدَّمة على قوله (فانظر ما ورد عن شيخك من الأذكار فافعله بإذن منه)، فقد تجد بعض الناس يهتم بالنوافل وبالأذكار وبالسنن وإذا سألته عن فرائض الوضوء فلا يعرفها، وهذا لا يكون، فعلى الإنسان أن يجعل الأولوية للفرائض ولمدار الأخلاق

السارد: فإن أعطاك دواءً فكله من يده ولو ظهرت لك مرورته فإنه ترياق يسهلك من مرض كامن

البيان: الترياق هو الدواء الشافي من جميع الأمراض، وقوله مسهل وهو ما ينظف كل ما كان في أحشاءك، وفي الجانب الروحاني فإنه ينظف كل ما كان بداخلك من الأمراض النفسية، ولو كان مر المذاق، **فالحقّ مرّ ولا يقبله إلا الحرّ**، فعلى الإنسان أن يكون حرّا، ويقبل الحق وهو كلام الرسول صلّى الله عليه وسلّم

السارد: وأنت لا تعرفه وهو يعرفه منك بالملاقاة

البيان: يعرفه منك المأذون بمجرّد الملاقاة فيمسحك كما يفعل الماسح الضوئي (سكانير) وبسرعة فلا يظل يتفكر أو يبحث أو يرجع إلى الجداول، بل بمجرد اللحظة التي تقع فيها عينه على المريض يتضح أمام المأذون ما يصلح

حال ذلك المريض وما يصلحه وما يهلكه وما يعينه فينصحه لوجه الله تبارك وتعالى فإن اتّبعه ربح

السارد: لصفاء مرآته بتجليات الأفعال والأسماء والصفات والذات فأنت مريض ما لم تصل إلى درجات تجليات الذات فإن كنت محجوبا لا تحس بتجلٍ أصلا مع وجوده فيك أو أحسست بتجلي الأفعال إن كنت من الفانين في نقطة الوحدة أو بتجلي الأسماء إن كنت من المتخلقين بها والمتعلقين أو أحسست بتجلي الصفات الذي هو في مقام الكاملة فهو أدرى بقوله تعالى ﴿**وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى**﴾[103]

البيان: على الإنسان ألاّ يقف أبدا بل يواصل دائما في طاعة الله تبارك وتعالى ويكون دائما عند الطبيب الأكبر الذي هو رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ويعدّ نفسه مريضا في باب الدواء فيتداوى ويتعلم ويصدّق الشرع ولا يصدّق عينيه ويصدّق كتاب الله ولا يصدّق قلبه ويصدّق كلام رسول الله وكلام العارفين العلماء الربانيين فكلامهم من كلامه صلّى الله عليه وسلّم ولا يصدّق كلام أصحابه ولا فكره ولا شياطينه ولا جِنّه ولا أي مخلوق حتى يكون في راحة وحتى يظهر له الطريق الصواب.

ومن علامات المحبة التولّه وحب المحبوب ومدحه وذكر وخصاله ومناقبه واتّباعه، ((**من أحبَّ شيئا أكثر من ذكره**))[104]، فهذه هي المحبة، وأما المحبة

---

[103] (42) سورة النجم

[104] الديلمي في مسند الفردوس عن عائشة رضي الله عنها

والعشق كما يكون بين البشر فيما بينهم فذلك لا يليق بجناب الله تعالى، قال تعالى: ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾[105]، فالمحبة كلها هي محبة الاتّباع، فإن محبة الله للعبد ومحبة العبد لله كلها محصورة في اتّباع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فبغير وساطة اتّباع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لا محبة من هنا ولا من هنا، وإن محبة الله سابقة ولكن لا يكون الانتفاع إلا بالاتّباع، ((**من أحيا سنَّتي فقد أحبَّني ومن أحبَّني كانَ معي في الجنَّةِ**))[106]، والخلفاء هم الذين يعلّمون سنّة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

ففي زاوية باب الخضراء كان سيدي محمّد القماري رضي لله عنه هو الذي يدرس الإراءة ويعطي بيانا ويفسر قليلا منها، وهو القائم بشؤون الزاوية، فرأى فيه الفقراء قوة الفتح وقوة الجدية والعمل المتواصل، ولذلك أحبوه كثيرا حتى أنهم جعلوا له إجازة تقديم على سند أولاد سيدي السائحي رضي الله عنهم، بسندهم عن سيدي الحاج علي التماسيني رضي الله عنه وعن الجميع، فغضب رضي الله عنه غضبا كبيرا، وإن كان دائم الفرح بهم ويكنّ لهم كل التقدير والاحترام، ولكنه رضي الله عنه لفراره من ادعاء المشيخة وكذلك حين جعلوا له إجازة لم يطلبها ولم يشاوروه قبل إعطائها إليه، لم يقبل ذلك وكذلك لتهرّبه من المشيخة ومن التولّي على الخلق، وأرسل رسالة إلى شيخه سيدي الحاج الأحسن البعقيلي رضي الله عنه يخبره ويشكو إليه أنه لا يريد

---

[105] (31) سورة آل عمران

[106] الترمذي

شيئا ولم يطلب شيئا من هذا وأن الفقراء تصرفوا من تلقاء أنفسهم وأجازوه دون علمه بالأمر، وكان سيدي الحاج الأحسن البعقيلي رضي الله عنه قد أرسله إلى تونس سنة 1929م ولم يجزه ولكن مرتبته كانت ظاهرة فبقي عشرات السنوات دون إجازة، فلما صارت هذه الحادثة بعث إليه خمس رسائل هي رسائل وإجازات في نفس الوقت، وقال له فيها: **وسلّم لنا منّا على جميع من عرفنا ومن لم يعرفنا فأنت نائبنا فيه**، وقال له أيضا: **فأنت نور أبصارنا**، وقال له أيضا:

ولقد نزلتِ فلا تظنّي غيره * منّي بمنزلة المُحبِّ المكرم

وقال له أيضا: "**فلا يزيد فينا إلا محبة أهل الله فأنت منهم**" والمراد منه افرح، وقال أيضا: من قرأ سورة على وليّ نقض العهد وطَلَقَ في حضرة الشيخ رضي الله عنه ... إلى أن قال: فإنني أجدد الطريقة لساداتي الفقراء في كل وقت سحر فذلك عادتي معهم ... وقال: وقُل لهم لا يخافون فإن الله أحبهم، وقد سألني عنها بعض الفقراء، فقلت له المراد من ذلك أجدد لهم سر الطريقة وسر أسانيدها ولم يقل: على الفقراء ألا يخافوا من الله تعالى بل نخاف من الله لأن من زاد خوفه زاد معرفة بالله تعالى وإذا نقص خوفه نقص معرفة بالله وإذا لم يبق له خوف فقد أمن مكر الله وهو من الخاسرين إذا لم يتب، ﴿**أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ اللّهِ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ**﴾[107]، والخوف من الله هو من جملة الإيمان وقد طالبنا الله سبحانه به في القرآن الكريم، حيث أمرنا بذلك

[107] (99) سورة الأعراف

فقال: ﴿**إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾[108]، ولقوله تعالى ﴿**وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللّهِ الْمَصِيرُ**﴾[109]، وقال تعالى: ﴿**يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوَءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَاللّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ**﴾[110]، فمن انتزع من قلبه الخوف من الله تعالى فهو مغرور.

وأما قوله رضي الله عنه: **وقُل لهم لا يخافون فإن الله أحبهم**، أي قل لهم أن يظنوا ظنا عظيما في فضل الله سبحانه وتعالى الذي وفقهم للصلاة كاملة ووفقهم لكثرة الصلاة على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ووفقهم لملازمة ذكر الله تعالى وقول لا إله إلا الله صباحا ومساء فكل من وفقه الله لهذا الأمر فلابد أنه قد سبقت له العناية وسبقت له المحبة من الله تعالى فلا يخاف أي لا يعوّل على عمله ولا يشك بل يعزم بتلك العلامة التي أراها الله له فليقل الحمد لله الذي وفقني وهذه علامة عظيمة جدا أنه وفقني وجعلني من المستغفرين لله صباحا ومساء ﴿**الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ**﴾[111]، فكل من استغفر الله إلا وغفر الله له، وجعلني من المصلين على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بكثرة وكلّ من صلّى عليه مرة صلى الله عليه عشرا ... ومن صلّى عليه ألفا فقد أعتقه من النار، ومن

---

[108] (175) سورة آل عمران

[109] (28) سورة آل عمران

[110] (30) سورة آل عمران

[111] (17) سورة آل عمران

وفّقه الله لقول لا إله إلا الله صباحا ومساء فهذا لابدّ أن يتجدّد إيمانه صباحا ومساء لقوله صلّى الله عليه وسلّم: ((**جَدِّدُوا إيمانَكم، أَكْثِرُوا من قولِ لا إله إلا اللهُ**))[112]، ((**إنِّي أنا اللهُ لا إلهَ إلَّا أنا فاعبدوني، من جاءني منكم بشهادةِ أن لا إلهَ إلَّا اللهُ بالإخلاصِ دخل في حِصني، ومن دخل في حِصني أمِن من عذابي**))[113]، فكلّ من وفّقه الله إلى هذه الطريقة الأصلية المحمّدية لابدّ أنه سبقت له العناية من الله تعالى أنّه آمن وصدّق رسوله صلّى الله عليه وسلّم وآمن به وصدق وليه وأولياءه ونظر فيهم بعين التكبير والاحترام لكلّ أهل الله الأولياء المسلمين العالمين العاملين فهذه علامة كبيرة على أنه هو نفسه من أولياء الله تعالى ومن أهل الله **فليتقن فيها العمل ويزيد عليها حسن الظن التام بالله تعالى** على ما وفقه إلا لأنه أحبه، ثم إنه ما قال رضي الله عنه: "**وقُل لهم لا يخافون فإن الله أحبهم**"، إلا لأنه لا يعتمد النقل، فلا يقول إلا ما يرى، ولذا قال في الإراءة: "... "((**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى**)) فنيتنا فيهم هو ما أطلعنا الله عليه معاينة وكتابة وهجاء لحروف مقاماتهم من الموضع الذي لا يقبل التبديل"[114] ا.هـ ولذلك قال فيما معناه: "**فإنّنا معشر العارفين أُطلعنا على الغيب الصمّ الذي لا ينبغي له التبديل ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾**[115]"،

---

[112] رواه أحمد

[113] أبو نعيم في الحلية

[114] راجع الإراءة ج2 فصل في بيان أن أصحاب سيدنا الشيخ رضي الله عنه طويت لهم سائر العقبات وأدرجت فيهم تلك المقامات بالفطرة التجانية

[115] (38) سورة النور

فكلٌ يعطيه الله على حسب ما يشاء سبحانه وتعالى، فكان يقول رضي الله عنه بأن جميع الفقراء التجانيين على الصراط المستقيم لا يتدنّى ولا يتدلّى منهم أحد فكلهم مستقيمون فلا تغتروا بظواهرهم فإن بواطنهم كلها كاملة، ولذلك قال رضي الله عنه " **... ومنه أنّ الله كتم مقاماتهم فلا يدّعي أحد منهم دعوى مع أنّهم لو اجتمعت أكابر الأقطاب ما وزنوا شعرة واحد منهم ...**"[116] ا.هـ فالمعطى معطى الله سبحانه وتعالى، ولم يبلغوا ذلك بكثرة اجتهاد ولا عبادة ولا أي شيء **ومن سبقت له العناية لم تضرّه الجناية** أي يتوب من كل جناية بتلك العناية السابقة من الله تعالى ولا يتعمّدها لأنه سبقت له مرتبة في علم الغيب فإنها لابد أن تلحقه والله يفعل في ملكه ما يشاء، ولكن على الإنسان ألا يعوّل على الضمانات وإنما يفرح بها ويظن بها ظنا حسنا ويجتهد كل الاجتهاد في الطاعات وفي التذلل لله تعالى والبعد عن المحرمات وغيره ويفرح بكل ما أمده به الله تعالى وخاصة من أعطي محبة واتّباع هذا القطب المكتوم المعلوم سيدنا ومولانا أحمد بن محمّد التجاني رضي الله عنه وأرضاه ونفعنا به آمين.

اللّهمّ صلّ على سيدنا محمّد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم صلاةً تنجّينا بها من جميع الأهوال والآفات وتقضي لنا بها جميع الحاجات وتطهرنا بها من جميع السيئات وترفعنا بها أعلى الدرجات وتبلغنا بها أقصى الغايات في الحياة

---

[116] راجع الإراءة ج1 فصل في سؤال سيدنا رضي الله عنه لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم عن معنى القطب المكتوم وما ضمنه له من الضمانات الصادقة

وبعد المهمات سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

تم بحمد الله تعالى.

بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

الدرس الثالث عشر: دور الطريقة التجانية وسط تحديات العصر

البيان: هذا سؤال واحد من الإخوان: ما هو دورنا اليوم في وسط كثير من التحديات في وجه هذه الطريقة التجانية وفي الزاوية التجانية وفي العلاقات بين الإخوان مع بعضهم البعض ومع العلم والمعرفة والتطبيق والعمل بما علمنا وعلاقاتنا ببعضنا البعض نساء ورجال مع الاختلاط وكتابة الكتب والنشر وكل ما كان من الأمور الإنسانية الاجتماعية فهي تدخل كذلك في الزاوية والتي هي جزء لا يتجزأ من المنظومة الاجتماعية إذا أخذنا المقصد الأعلى وأبلغ ما يعتبر في هذا الميدان وهو أن الطريقة التجانية أولا وبالذات تجمع العلوم الثلاث: العلم الأول هو علم الشريعة، فالفقير أو التلميذ هو سالك إلى الله تعالى بهاته العلوم الثلاث وأولها الشريعة ولابد من تعلم الشريعة وهي الأحكام الشرعية في بابين اثنين: الباب الأول وهو باب العبادات كيف نصلّي؟ كيف نصوم؟ كيف نرقع صلاتنا؟ كيف نتطهر الطهارة الكبرى؟ كيف نتيمّم؟ كيف نتوضأ؟ كيف نحج؟ كيف نعتمر؟ فهذا هو العلم الأول ولابد لكلّ مسلم أن يعلم وأن يتعلم ما يلزمه بين يومه وليلته من هذا العلم وكل من لم يتعلم هذا العلم واعتبر أن هذا غير واجب في حقه فقد أخطأ الصواب وقد غرّر بنفسه وتلاعب بنفسه وتلاعب به الشيطان لماذا؟ لأن النبي صلّى الله عليه وسلّم

يقول: ((**طلب العلم فريضة على كل مسلم**))[117] وعموما على كل مؤمن، فالنبي صلّى الله عليه وسلّم لم يخصص الرجال فقط وإنما النساء والرجال لأنهما متساويان في الخطاب الشرعي. ولذا قالت بعض الصحابيات فيما معناه: ما للقرآن يحدث الرجال فقط، كقوله تعالى ﴿**مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا**﴾[118]، فأنزل الله تعالى في الآيات التي تلت من محكم تنزيله: ﴿**إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا**[119]﴾[120]، فذكر الله تعالى الجنسين الذكر والأنثى بعضكم من بعض، فهذا العلم الشرعي وأوله تعلم أحكام العبادة ثم تعلم أحكام

---

[117] ابن ماجه

[118] (23) سورة الأحزاب

[119] (35) سورة الأحزاب

[120] "عن أم عمارةَ الأنصاريةَ أنَّها أتتِ النَّبيَّ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ فقالت ما أرى كلَّ شيءٍ إلَّا للرِّجالِ وما أرى النِّساءَ يُذكَرنَ بشيءٍ فنزلت هذهِ الآيةَ إنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ الآية" - صحيح الترمذي

أم عمارة نسيبة بنت كعب الأنصارية (توفيت سنة 13 هـ) صحابية من الخزرج، شاركت في عدد من غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم وبعض معارك حروب الردة

عن أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت للنبي صلّى الله عليه وسلّم يا نبي الله: مالي أسمع الرجال يذكرون في القرآن، والنساء لا يذكرن؟ فأنزل الله تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ**﴾ رواه النسائي في سننه عن أم سلمة رضي الله عنها.

المعاملات من تجارة ورهن وسلفة ودَين وزواج وطلاق وخطبة وأبواب المعاملات كثيرة فيتعلم الإنسان منها ما يلزمه بين يومه وليته فاليوم لم يبق واحد له حُجّة حتى لا يتعلم، فلو قال: لم أجد فقهاء، فالفقهاء موجودون، وإن قال: لم أجد الكتب فالكتب موجودة، وإن قال: لم أجد مالاً لشراء الكتب، فهي موجودة على المواقع الإلكترونية مجانا وكذا في الزوايا والمساجد، ولو قال: لم أتعلم القراءة والكتابة، فقد ارتفع الجهل في هذا الزمان ولم يبق أميّون ونسبة

الأمية قليلة جدا[121] على الأقل في بلادنا[122]، فلا حجة اليوم للإنسان في عدم التعلم وخاصة المرأة، بينما الإنسان له الوقت الكافي والشافي **ليتعلم كل يوم في**

[121] نسب الأمية في البلدان العربية للأشخاص فوق 15 عاما: موريتانيا: 48 %، المغرب: 28 %، الجزائر: 20 %، تونس: 18 %، ليبيا: 9 %

[122] معدل الانقطاع المدرسي في تونس يقارب ال 100 ألف منقطع سنويا وهو معدل ضخم بالنظر الى المجهودات المبذولة.

ولقد توصّلت الدراسات التي تناولت ظاهرة الانقطاع المدرسي إلى أن الانقطاع عن التعليم في تدرج من المرحلة الابتدائية إلى التعليم الثانوي حيث ارتفع من 1.2 بالمائة إلى 10 بالمائة حاليا. وترتفع نسبة الانقطاع المدرسي في التعليم الابتدائي خاصّة لدى تلاميذ السنوات الخامسة والسادسة وفي مستوى التعليم الإعدادي تتمركز بالأساس في السابعة أساسي بنسبة 30 بالمائة.

هذا وتصل كلفة الانقطاع المدرسي الى ما يقارب الـ 345 مليون دينار سنويا وتتوزع هذه الخسائر على أكثر من 137 مليون دينار كلفة الرسوب و207 مليون دينار تكلفة الانقطاع.

أسباب الانقطاع:

–تغير سلم القيم وتراجع مكانة التعليم في الذهن.

–تراجع المنفعة الاقتصادية للدراسة اليوم، باعتبار تزايد عدد العاطلين عن العمل من ذوي الشهادات العليا، وهو ما يجعل نسبة لا بأس بها من الأطفال تترك المدرسة و تندمج مبكرا في سوق الشغل.

–تراجع دور المدرسة في تقديم وظيفتها التعليمية، مقابل بروز مصادر أخرى للتعلم وترسخ قيم اجتماعية أخرى ترتكز على الثراء السهل والشهرة.

–تغير مفهوم الرعاية الأسرية في ظل عمل الأولياء والضغط الزمني للعائلة وقلة ومراقبة الأبناء في دراستهم ومواظبتهم وتوفير الظروف الأسرية والاجتماعية الملائمة لهم ومراقبتهم في استعمال التكنولوجيا الحديثة.

– ضعف العلاقة الاتصالية بين المدرسة والأسرة.

عشر دقائق أو خمسة عشر دقيقة ما تيسر من الفقه، وكنا قد أعطينا للإخوان الكتب المعتمدة لدينا ككتاب ميارة الصغرى مختصرا والخلاصة الفقهية على

–غياب المحطات التقييمية في السادسة من التعليم الابتدائي والتاسعة من التعليم الإعدادي.

–وجود خلل في المنظومة التربوية التونسية التي لم تعد تجذب التلميذ للدراسة. لهذا من الضرورة بذل جهد كبير لتطوير البرامج والحياة الدراسية.

– الهوة بين الدراسة وسوق العمل

–عدم استعمال الوسائل التعليمية التي تجذب انتباه الطلاب خاصة في المواد الفنية والتكنولوجية وفي تدريس اللغات وغيرها.

–فتور العلاقة بين المدرسة ومحيطها وضعف دورها التعليمي والتربوي.

– ضعف طرق وأساليب التعليم ثم مضامينه ومحتوياته

– عامل التقليد لدى المراهقين، حيث يصبح المراهق أكثر تأثرا بأترابه من المراهقين فيحاول تقليدهم في كل شيء. من ذلك مثلا مجاراتهم في الخروج والنزهة داخل أوقات الدراسة والتمرد على أوامر الأساتذة والمربين فتكثر غياباتهم وتكون هذه أيضا بداية من بدايات الانقطاع عن الدراسة.

[122] بلغت النسبة الأمية في تونس 17.7 بالمائة أي ما يعادل 2 مليون أمّي بحسب بيان صادر عن وزارة الشؤون الاجتماعية التونسية بتاريخ 10 جانفي 2022.

وقد تراجعت نسبة الأمية في الجزائر عام 2022 لتصل إلى حدود 7,40 بالمائة من السكان، وفق ما صرح به المدير العام للديوان الوطني لمحو الأمية وتعليم الكبار، الذي لم يستبعد إمكانية القضاء على هذه الآفة في آجالها المحددة في برنامج الأمم المتحدة للتنمية المستدامة آفاق 2030.

ويقول مدير الوكالة الوطنية لمحاربة الأمية في المغرب الأقصى "نسبة الأمية انخفضت خلال السنوات الماضية، لكن النسبة الرسمية غير متوفرة"، مورداً أن الوكالة لديها خارطة طريق تهدف إلى تقليص المعدل العام للأمية في المغرب إلى 20 في المائة سنة 2021، ثم إلى 10 في المائة في أفق سنة 2026.

مذهب السادة المالكية لمحمّد العربي القروي ففيه السؤال والجواب وسجلنا كذلك بعض الدروس التي يمكن للإنسان أن يعتمدها ولدينا كذلك كتاب الشيخ مشفر في العبادات قد قامت بعض الأخوات من جربة بكتابته كاملا وفيه شرح على رسالة ابن أبي زيد القيرواني رحمه الله وكذلك ميارة الكبرى موجود، فمن العجيب أن يكون الإنسان لديه ضجر في حياته في حين أنه لم يجتهد في أمور هي "بجانب رأسه" كما يقول المغاربة، فعوض أن يدخل الإنسان إلى رأسه ويهتم بنفسه وما يلزمها فإنه يبقى في ضجر فهذا هو العلم الأول.

وأما العلم الثاني الواجب تحصيله فهو علم الطريقة، والطريقة ليست كما نقول هذه الطريقة التجانية وهذه طريقة صوفية، وإنما الطريقة هي الطريق وهي أخلاق رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وشمائله كما وردت، وهنا لابد على الإنسان أن يقرأ كتبا مهمة جدا وأولها كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض الذي قال فيه سيدي الحاج الأحسن البعقيلي: "هو تاج العارفين"، أي أنه عارف عظيم وذلك لمعرفته بحقوق المصطفى صلّى الله عليه وسلّم، والكتاب الثاني هو كتاب سيرة ابن هشام جازاه الله كل خير والذي كتبه في السيرة النبوية الشريفة، وذلك حتى يعلم الإنسان منذ بعثة الإسلام كيف سارت الأحداث وكيف كانت معاملة النبي صلّى الله عليه وسلّم مع المشركين ومع أهل قريش فيتعلم الإنسان السيرة النبوية وسيرة الصحابة رضي الله عنهم مع التواريخ وذلك حتى يكون على بينة من أمره، فيتعلم الإنسان شمائل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وكيف كانت معاملاته مع الخلق ومع ربه ومع نساءه ومع عدوه ومع من هاجر إليهم، فلابد على الإنسان أن يتعلم

شمائل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم والكتب في هذا الباب كثيرة كشمائل الترمذي ولكننا نركز على كتاب أو اثنين حتى لا يتشتت الفكر فواحد أو اثنان يكفي ويغني. وأما العلم الثالث فهو ما يسمى بالتصوف عند الناس وعندنا هنا هي الطريقة التجانية وهي الالتزام بذلك الذكر الذي به نحافظ على فرائضنا وعلى "رأس مالنا" فاتخذنا لأنفسنا نذرا ذكرا نذكره كل يوم إلا إذا كان الإنسان مريضا مرضا شاقا جدا ﴿**لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ**﴾[123]، فنذكره حتى نكون دائما في الطريق إلى الله تعالى ولا ننسى الآخرة ولا ننسى أنفسنا وهو عبارة عن نذر معين نذره الإنسان على نفسه وقال: يا رب إني أعاهدك عن طريق وسائطك من العلماء والعارفين أن أذكر هذا الذكر إلى الممات، فالإنسان إنما يحافظ بهذه النوافل على رأس ماله لقوله صلّى الله عليه وسلّم حاكيا عن ربه سبحانه وتعالى في الحديث القدسي: ((**إنَّ اللَّهَ تعالى قالَ مَنْ عادَى لِي وَلِيّاً فقد آذَنْتُهُ بالحَرْب وما تقرَّبَ إليَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أحَبَّ إليَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عليهِ وما يزالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إلَيَّ بالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّه فإذا أحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الّتي يَبْطِشُ بِها وَرجْلَهُ الّتي يَمْشِي بِها وإنْ سألَنِي لأُعْطِينّهُ وإن اسْتَعاذَنِي لأُعِيذَنّهُ وما تَرَدَّدْتُ عنْ شَيْءٍ أنا فاعِلُهُ تَرَدُّدِي عنْ قَبْضِ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يكْرَهُ المَوْتَ وأنا أكْرَهُ مَساءَتَهُ**))[124]. فالنوافل هي مجراة لفضل الله الأعظم ولرضا الله الأعظم وهو ما نحن عليه على يد شيوخنا رضي الله عنهم وهو ما أتى به شيخنا

---

[123] (61) سورة النور

[124] تخريج السيوطي في الجامع الصغير (البخاري) عن أبي هريرة رضي الله عنه

القطب المكتوم رضي الله عنه من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وخاصة فيمن اعتقده ولا شيء على من لم يعتقده إذا لم ينكر وأما من أنكر إنكار جهل أو عادى الطريقة وأهلها فليحذر فإنه يخاف على نفسه فإن هذا الأمر رباني، فقد قال الله تعالى ﴿**فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ**﴾[125]، وقال أيضا ﴿**فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا**﴾[126] وقال كذلك ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ (56) سورة الأحزاب، فنحن في طاعة الله تعالى استغفارا وصلاة على رسول الله عليه وسلم وذكرا بلا إله إلا الله والتي هي من القرآن[127] والتي يجدّد بها الله تعالى الإيمان[128]، فهذه المرتبة الثالثة أو العلم الثالث وهو علم تزكية النفوس وعلم السلوك إلى الله وحده، ويكفي الإنسان من هذا العلم أن يكون لديه كتب جواهر المعاني والإراءة وسوق الأسرار والشرب الصافي، فيكفيه ذلك ويغنيه عن جميع الكتب، فيقرأها عمره كاملا، ثم العمل بما تعلم، فقد نقول اليوم لبعض الإخوان كن عالما أو كوني عالمة، فالفرق اليوم يكمن في وسائل الاتصال السمعية البصرية وهي خطيرة وخطيرة جدا وتفرعت تفرعا لم يسبق له مثيل في التاريخ، حتى أننا اليوم نلاحظ أن أفكارك ومشاعرك وأحاسيسك وما عبرت عنه في

---

[125] (152) سورة البقرة

[126] (10) سورة نوح

[127] ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ**﴾ (19) سورة محمّد

[128] ((**جَدِّدُوا إِيمانَكُمْ أَكْثِرُوا مِنْ قَوْلِ لا إِلَهَ إِلاَّ الله**)) (أحمد والحاكم في المستدرك على الصحيحين) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

الفايسبوك وما قلته وما قيل لك، فكل ذلك مسجل، وهم يعرفونك باسمك وعمرك وأحاسيسك وكل ما كتبته باق لا يُمحى، وكذلك هذا الجهاز وهو الهاتف الجوال فيمكن بالتحديد الجغرافي أن يُعرف من أين أتى وإلى أين ذهب وفي كل لحظة من أوقاته، ومن جملة ذلك ما ينشر من الكتب ومن العلوم وغيرها، فعلى الإنسان أن ينتقي من العلم أحسنه ويملأ وقته بذكر الله قلبا وقالبا، فكل علم لا يمر من التعلم إلى العمل به فليس بعلم وإنما هو حجة على صاحبه فلا يسمى علما إلا إذا أخذ به الإنسان وعمل به، قال صلّى الله عليه وسلّم: ((**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَيُلْهِمْهُ رُشْدَهُ**))[129]. قال سيدي الحاج الأحسن البعقيلي: هو كل علم أريد به العمل. وقال صلّى الله عليه وسلّم ((**الْعُلَمَاءُ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ يُحِبُّهُمْ أَهْلُ السَّمَاءِ وَتَسْتَغْفِرُ لَهُمُ الْحِيتَانُ فِي الْبَحْرِ إِذَا مَاتُوا إلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**))[130] وذلك في حق العالم أو العالمة. وقال صلّى الله عليه وسلّم: ((**خَصْلَتَانِ لا يَجْتَمِعانِ فِي مُنافِقٍ حُسْنُ سَمْتٍ ولا فِقْهٌ فِي الدِّينِ**))[131]، حُسْنُ سَمْتٍ وهو حسن خُلُقٍ وهيأة أهل الخير وطريقهم فالمنافق لا يكون فقيهًا في الدين. وقال صلّى الله عليه وسلّم ((**أَفْضَلُ النَّاسِ الْمُؤْمِنُ العَالِمُ الذِي إِذَا احْتِيجَ إِلَيْهِ نَفَعَ وَإِنْ اسْتُغْنِيَ عَنْهُ أَغْنَى نَفْسَهُ**))[132] لماذا؟ لأنه غنيّ بربه. وقال صلّى الله عليه وسلّم ((**الإِيمانُ عُرياناٌ ولِبَاسُهُ التَّقْوَى وَزِينَتُهُ الحَيَاءُ وَثَمَرَتُهُ**

---

[129] (أبو نعيم في الحلية) عن ابن مسعود رضي الله عنه

[130] تخريج السيوطي في الجامع الصغير (ابن النجار) عن أنس بن مالك رضي الله عنه

[131] (الترمذي في سننه) عن أبي هريرة رضي الله عنه

[132] أخرجه الْبَيْهَقِيّ فِي شعب الْإِيمَان مَوْقُوفا عَلَى أبي الدَّرْدَاء رضي الله عنه

العِلْمُ))[133] وهو العلم بالله تعالى، وقال صلّى الله عليه وسلّم ((**أَقْرَبُ الناسِ مِنْ دَرَجَةِ النُّبُوَّةِ أَهْلُ العِلْمِ وَالجِهَادِ، أَمَّا أَهْلُ العِلْمِ فَدَلُّوا النَّاسَ عَلَى مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ وَأَمَّا أَهْلُ الجِهَادِ فَجَاؤُوا بِأَسْيَافِهِمْ عَلَى مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ**))[134] ((**لَمَوْت قَبيلَة أيسر من موت عَالم**))[135] ((**النَّاسُ مَعادِنُ كمعادن الذهب والفضة فَخيارُهُمْ في الجاهِلِيَّة خِيارُهُمْ في الإسْلامِ إذا فَقُهُوا**))[136] ((**من حفظ عَلَى أمتِي أَرْبَعِينَ حَدِيثا من السّنة حَتَّى يُؤَدِّيهَا إِلَيْهِم كنت لَهُ شَفِيعًا وشهيدا يَوْم الْقِيَامَة**))[137] أي تشفع فيه وتشهد له وهو بذاته يشفع في الأمة ويشهد لها ((**من حمل من أمتي أربعين حديثا لقي الله عز وجل يوم القيامة فقيها عالما**))[138] ((**مَنْ تَفَقَّهَ في دِين الله كَفَاهُ اللهُ هَمَّهُ، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيثُ لَا يَحْتَسِبُ**))[139] ((**إذا أتى علىَّ يومٌ لا أزدادُ فيه علمًا يُقرّبني إلى اللهِ فلا بُورك لي في طُلُوعِ شمسِ ذلك اليومِ**))[140]

---

[133] أخرجه الْحَاكِم فِي تَارِيخ نيسابور من حَدِيث أبي الدَّرْدَاء رضي الله عنه

[134] أخرجه أَبُو نعيم فِي فضل الْعَالم الْعَفِيف من حَدِيث ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما

[135] أخرجه الطَّبَرَانِيّ وَابْن عبد الْبر من حَدِيث أبي الدَّرْدَاء رضي الله عنه

[136] (أحمد والبخاري ومسلم) عن أبي هريرة رضي الله عنه

[137] أخرجه ابْن عبد الْبر فِي الْعلم من حَدِيث ابْن عمر ري الله عنهما

[138] أخرجه ابن عبد البر من حديث أنس رضي الله عنه

[139] الرافعي عن أَبي يوسف عن أَبي حنيفة عن أَنس، الخطيب وابن النجار، عن أَبي يوسف، عن أَبي حنيفة عن عبد الله بن جزء الزبيدي

[140] الطبراني في الأوسط، وأبو نعيم في الحلية، وابن عدي، والخطيب عن عائشة رضي الله عنها

((من اسْتَوَى يوماه فَهُوَ مغبون وَمن كَانَ آخر يَوْمه شرا فَهُوَ مَلْعُون وَمن لم يكن على الزِّيَادَة فَكَانَ على النُّقْصَان وَمن كَانَ على النُّقْصَان فالموت خير لَهُ))[141]

وعليه فمن استوت أيامه فهو مغبون، فيكون يومه هذا كليلته التي مضت وكيومه الذي سيأتي، فعلى الإنسان عوض أن يهتم بالناس وبمكائد الناس وبمصائب الزمان وبالضجر وبالمرض عليه أن يهتم بربه سبحانه وتعالى الذي خلقه وسواه وقال له وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون، فلم يخلقنا الله تعالى إلا للعبادة وأما غير هذا فهو مسخر للعبادة فقط، وإذا ما وجد الإنسان فسحة في وقته وفسحة في ماله وفسحة في صحته، فليستغل ذلك في طاعة الله، فمن العجب أن يضيعه حتى يأتي عليه يوم قد يفقد بعض ماله أو كله وقد يفقد بعض أعضاءه عافاكم الله كذهاب عينيه أو قدميه فيقول حينها يا ليتني، وحينها سيعرف أنه كان في جنة ولم يشعر فلابد للإنسان أن يأخذ حذره ويغتنم **((اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هِرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ))**[142] ونختم أخيرا فنقول علينا وعليكم أي علينا جميعا جميعا نساء ورجالا وأطفالا وشبابا وكهولا وشيوخا علينا بالعلم ومداومة التعلم عليكم بطلب العلم فمن أراد الراحة الحقيقية فليطلب العلم بالله ولله تقربا لله، ومن أراد الرزق كذلك، ومن أراد أن يضمن مستقبل أولاده فليطلب العلم، ومن أراد أن يبعد عن الهم والغم

---

[141] الفردوس بمأثور الخطاب للديلمي عن علي كرم الله وجهه

[142] أخرجه ابْن أبي الدُّنْيَا فِيهِ بِإِسْنَاد حسن وَرَوَاهُ ابْن الْمُبَارك فِي الزّهْد من رِوَايَة عَمْرو بن مَيْمُون الْأَزْدِيّ مُرْسلا.

فليطلب العلم، لأنّ العلم نور ((**اغْدُ عالِماً أوْ مُتَعَلِّماً أوْ مُسْتَمِعاً أوْ مُحِبّاً وَلَا تَكُنِ الخَامِسَةَ فَتَهْلَكَ**))[143] فمن هي الخامسة؟ الخامسة هي المُعادي والمبغض الجاهل الذي لا يريد التعلّم ومع ذلك ينكر على غيره ... ولا يعرف حتى كيف يعبد ربه إلخ فكل من انتقد وحارب أهل الله والعلماء وإذا لم يكن له حق في ذلك فإن ذلك علامة على أن عاقبته لن تكون خيرا، اللهم إلا إن كان بينه وبينهم حق في مال أو أرض أو عرض فذلك أمر آخر، وأما من انتقد العلماء وحاربهم فإنه يتضرر، فعلى الإنسان أن يجتهد حتى يكون عالما، فيفتح عليه الله سبحانه وتعالى ويكون في طيب عيش، وأما من لم يكن عالما وخاصة في هذا الزمان حيث كثرت المواقع على الأنترنت وأصبحت العقول مختلفة وكذلك الرؤى ونظرة الناس للأشياء أصبحت مختلفة، فربما في نفس المنزل تجد من هو يميل إلى اليساريين أو من هو شيوعي أو من يتبع التيارات الإسلامية المتفرقة، وربما تجد من لا يؤمن بأي شيء، فكيف يكون الخروج من الخلاف بين هذه المعتقدات سواء في المنزل أو في خارج المنزل أو في العمل؟، الخروج منها يكون بمخرج واحد وهو العلم والسمت الحسن من خلق حسن وهيأة حسنة ومن ملاينة وصفاء مع الناس، وأما من لم ينتبه لمثل هذه الأمور فإنه يتضرر بها أو يضرّ غيره أو يكون في عداوة دائمة مع الناس وهذا ما لا نريده، ولذا فقد خصص لنا صلّى الله عليه وسلّم من هو العالم الذي نطلبه ومن هو العالم الذي نجلس إليه ويعلمنا ديننا ونعتبر أنه ناصح لنا ونأخذ بعلمه وإلا فإن كثيرا من الناس يقول: قال الله وقال الرسول ومع ذلك فهو عالم لا يجب الجلوس إليه

[143] (الْبَزَّار والطبراني في الأوسط) عن أبي بكرة رضي الله عنه

ولا نسمعه أصلا. فقد قال صلّى الله عليه وسلّم ((**لا تجلسوا عِنْد كل عَالم إِلَّا إِلَى عَالم يدعوكم من خمس إِلَى خمس: من الشَّك إِلَى الْيَقِين، وَمن الرِّيَاء إِلَى الْإِخْلَاص، وَمن الرَّغْبَة إِلَى الزّهْد، وَمن الْكبر إِلَى التَّوَاضُع، وَمن الْعَدَاوَة إِلَى النَّصِيحَة**))[144]

فلا يكون لك شك في دينك ولا في قرآن ولا في سنة نبيك فهذا هو العالم الذي نجلس إليه ونتعلم منه ونكون نحن كذلك من هذا النوع الذي ينقل غيره من خمس إلى خمس، وهكذا تكون الدنيا عندنا كسجدة يسجدها الإنسان ثم ينتهي الأمر، لقوله صلّى الله عليه وسلّم ((**واللَّهِ ما الدُّنْيا في الآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ ما يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ هذِه، وأَشارَ يَحْيَى**[145] **بالسَّبَّابَةِ، في اليَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمَ تَرْجِعُ؟**))[146] فعلى الإنسان أن يجمع من دنياه لآخرته وذلك أمر بسيط إذا جمع الإنسان قلبه مع الله، وما عرفت فالزم، من معرفة وطريق وعلم ويا حبذا لو أن كل الناس يصيرون إلى مثل هذا الطريق من العلم.

تم بحمد الله تعالى.

---

[144] أخرجه أَبُو نعيم فِي الْحِلْية عن جابر رضي الله عنه

[145] يحيى بن يحيى النيسابوري (142 هـ - 226 هـ) من كبار رواة الحديث، ولد بنيسابور، ووصفوه بأنه كان زاهدًا، صالحًا، وبأنه كان خيرًا، فاضلاً، صائنًا لنفسه، حسن الوجه، طويل اللحية. توفى وهو ابن أربع وثمانين سنة

[146] صحيح مسلم

بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

الدرس الرابع عشر: كلٌّ من أقامه الله في بابٍ لا يستطيعُ غيرُهُ أن يقوم فيه

السارد: قال صلّى الله عليه وسلّم: ((**أفضلُ المؤمنينَ إسلامًا من سَلِمَ المسلمونَ من لسانِه ويدِه، وأفضلُ المؤمنينَ إيمانًا أحسنُهم خُلقًا؛ وأفضلُ المهاجرين من هجر ما نهى اللهُ تعالى عنه، وأفضلُ الجهادِ من جاهد نفسَه في ذاتِ اللهِ عزَّ وجلَّ**))

البيان: قوله صلى الله عليه سلوم: **أفضلُ المؤمنينَ إسلامًا من سَلِمَ المسلمونَ من لسانِه ويدِه**، أي أن أول وأعظم ضرر يقع باللسان ثم باليد، ولذا فلنتق الله في ألسنتنا، ولنتق الله في كثرة الكلام، ولنتّق الله في أعراض الناس، فليأخذ الإنسان بزمام نفسه، فإذا أنت آمنت بالله تعالى وبرسوله صلّى الله عليه وسلّم وباليوم الآخر إلخ ... فهل أنت حقا مسلم ؟ أنت مؤمن ومسلم إسلام الشهادتان ولكنك وجب عليك أن تأخذ بزمام نفسك، فإذا سلم المسلمون من لسانك ويدك فأنت مؤمن وأنت كذلك مسلم وأنت أفضل المؤمنين إسلاما، **وأفضلُ المؤمنينَ إيمانًا أحسنُهم خُلقًا**، فحسن الخلق مطلوب جدا في الإسلام لمن أراد أن يكون كامل الإيمان، وحسن الخلق يكون من الحلم والصبر والتبسم في وجوه الآخرين وعدم التعرض للناس بالكلام البذيء أو بالمواقف الشينة، فلابد للإنسان أن يحسِّن من خلقه فإذا فعله فإنه يكون عند الله تعالى ذو مرتبة عظيمة، وكما ورد في الحديث الشريف ((**حُسْنُ الخُلُقِ**

نِصْفُ الدِّينِ))، فلا يصح إيمانك حتى تحسّن من خُلُقك وأما الهجرة فقال فيها صلّى الله عليه وسلّم ((**وأَفْضَلُ الْمُهاجِرِينَ مَنْ هَجَرَ ما نَهى اللَّهُ تعالى عَنْهُ**)) أي من أراد أن يهاجر في سبيل الله تعالى فليهاجر كل ما نهى الله تعالى عنه، ((**اتّق المحارم تكُن أعبدَ النّاس**))[147] ((**إذا أَمَرْتُكُمْ بِشَيءٍ فأْتُوا مِنْهُ ما اسْتَطَعْتُمْ وإذا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيءٍ فَدَعُوهُ**)) فإذا انتهى الإنسان عما نهى عنه الشرع فإنه يعد أفضل المهاجرين، ((**فمَنْ كانت هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، فَهِجْرَتُهُ إلى اللهِ وَرَسُولِهِ**)) فهذه هي الهجرة إلى الله ورسوله وهي أن يهجر ما حرّم الله وما نهى عنه الشارع، ((**وأفضلُ الجهادِ منْ جاهَدَ نَفْسَهُ في ذاتِ اللَّهِ عزّ وجَل**)) لأن أصعب شيء يجاهد ويحارب هو النفس، فهي التي تتحكم فينا وتصرعنا وتريد أن تجرنا إلى المهالك، ونحن نحاربها، في كل يوم وكل ليلة وكل وقت حتى نتغلب عليها إن شاء الله، فهذه حرب قائمة مع النفس، والجهاد الأكبر هو جهادها، فأعدى الأعداء نفسك التي بين جنبيك، فلا يستهين بها الإنسان ولا يظن أنه وصل أو أنه تمكن من نفسه، بل على العكس، إنما هو جهاد في كل لحظة وحين، وأفضل الجهاد من جاهد نفسه في ذات الله عزّ وجلّ، ومن جملة الجهاد هذا المجهود الذي بذلتموه، جازاكم الله كل خير، مجموعة من الإخوان

---

[147] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: **من يأخذ عني هؤلاء الكلمات فيعمل بهنّ أو يعلمهنّ من يعمل بهنّ؟**، قال أبو هريرة :فقلت أنا يا رسول الله، فأخذ بيدي فعدّ خمسًا، قال :**اتّق المحارم تكُن أعبدَ النّاس، وارضَ بما قسَم الله لك تكُن أغنى النّاس، وأَحسن إلى جارك تكُن مؤمنًا، وأحِبّ للنّاس ما تحبّ لنفسك تكن مُسلمًا، ولا تُكثر الضّحك فإنّ كثرةَ الضّحك تُمِيتُ القلب.** رواه أحمد، والتّرمذي

الصادقين نسأل الله أن يثبت كل هذا وأن يجعله كله لوجه الله تعالى، وخاصة أنكم اجتمعتم في هذا الصيف الحار، والشمس المحرقة، وجمعتم معكم هؤلاء الأطفال بصبر وإصرار، وأفرحتموهم معكم فكان ما كان من الخير، ولعل آية واحدة تكفي، إذا حفّظها الإنسان لولده أو لواحد من المؤمنين فإن له من الثواب ما لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى، وكله مبني على الصبر، فلو لم نصبر لما أدركنا سورة أو سورتين، فبارك الله في كل من ساهم في هذا الأمر، فمن النساء من فتحت بيتها لاحتضان أولئك الأطفال بل وفتحت قلبها وأعصابها وصبرت على إطعامهم حتى يتعلموا، وهذه هي الإعانة، وهي عمل عظيم، فلو كان هناك فرد واحد لما قدر على فعل كل هذا.

وأما في فضل تلاوة القرآن، فنذكر بعض الأحاديث النبوية وهي كثيرة جدا ومعلومة كقوله صلّى الله عليه وسلّم ((**أفضل عبادة أمتي تلاوة القرآن**))[148] ((**إنَّ الذي ليس في جَوْفِهِ شيءٌ من القرآنِ كالبيتِ الخَرِبِ**)) وأعظم معلّم هو معلّم القرآن ((**خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه**))[149]. فعلى الآباء والأمهات أن يصبروا لهذا الأمر ويجلسوا مع أطفالهم في حفظهم للقرآن بل ويكررون معهم الآيات والسور حتى يحفظوها إذ ليس من السهل أن تحفّظ طفلا من دون أن تشاركه ذلك الأمر، وهذا كله حتى يصير ناشطا فرحا ويتبعك في الحفظ، فلابد أن تجتهدوا في هذا الأمر، ويحدثنا الأحباب عن نساء تقدم بهن العمر في الجزائر

---

[148] البيهقي في الشعب وأبو نعيم في فضائل القرآن عن أنس بن مالك والنعمان بن بشير رضي الله عنهما

[149] البخاري

وفيهن من حفظت القرآن وبعضهن دخلت للربع الثالث منه، فأين نحن من هذا؟، بل وقد يأتي بعضهم يشتكي القلق وكثرة فراغ الوقت وقلة ما يمكنه فعله في هذا الوقت، فنقول له: احفظ القرآن، ﴿**وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ**﴾ (17) سورة القمر، فكل من تعهد القرآن بالحفظ والمراجعة إلا ويسره له الله سبحانه وتعالى.

تم بحمد الله تعالى.

الفهرس

مقدمة 3

من مقدمة كتاب جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني 4

نسخة من خط سيدي الحاج الأحسن البعقيلي رضي الله عنه 5

نسخة من خط سيدي الحاج محمّد القماري رضي الله عنه 7

نسخة من خط سيدي الحاج الحبيب بن حامد رضي الله عنه 8

الدرس الأول: العبودية لا قاع لها 10

الدرس الثاني: من بنى لله بيتًا 13

الدرس الثالث: سر نشر الإزار في الوظيفة 16

الدرس الرابع: عمل الخاصة من أصحاب سيدنا رضي الله عنه وعنهم آمين 29

الدرس الخامس: اليقين 36

الدرس السادس: ما رأس العلم؟ وما قلبه؟ وما أجنحته؟ 41

الدرس السابع: أهل المعروف لا ينسون من أدى إليهم معروفًا 55

الدرس الثامن: الإسراء والمعرج 61

الدرس التاسع: الضمانات في الطريقة التجانية 82

الدرس العاشر: تفرَّغوا مِن همومِ الدُّنيا ما استطعتُمْ 89

الدرس الحادي عشر: أسانيد المشرب البعقيلي في تونس 99

الدرس الثاني عشر: إلا أن يتغمّدني الله برحمته 107

الدرس الثالث عشر: دور الطريقة التجانية وسط تحديات العصر 126

الدرس الرابع عشر: كلُّ من أقامه الله في بابٍ لا يستطيعُ غيرُهُ أن يقوم فيه 139